مدخل للتعريف بالقرآن الكريم

تأليف: عبد الوهاب صالح السايغ

الطبعة الاولى
من إصدارات
الجمعية الكويتية للتواصل الحضاري

مدخل للتعريف بالقرآن الكريم

تأليف: عبد الوهاب صالح السايغ

الطبعة الاولى
من إصدارات
الجمعية الكويتية للتواصل الحضاري

فهرسة
مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

الشايع، عبدالوهاب صالح .
مدخل للتعريف بالقرآن الكريم .../ عبدالوهاب صالح الشايع.-ط1.- الكويت: عبدالوهاب صالح الشايع، 2017 .
148 ص: 19 سم.
ردمك: 978-99966-1-666-2

رقم الإيداع : 0725-2017
ردمك : 978-99966-1-666-2

هذا الـمُـؤَلَّـفْ وقف لله تعالى
يوزع دون مقابل
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

العنوان الإلكتروني للمؤلف : **hewar01@hotmail.com**

مدخل للتعريف بالقرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

هذا مدخل للتعريف بالقرآن الكريم، أُعد خصيصاً للمثقفين من غير المسلمين، الذين عندما يذكر القرآن لمعظمهم، فسيتبادر إلى أذهانهم ــ في أحسن الأحوال ــ أنه كتاب ديني قديم، يعكس المعلومات والمفاهيم المتوافرة لدى العرب ــ البدو ــ في أوائل القرن السابع الميلادي.

ولكنهم عندما يقرأونه بتمعن و بأذهان مفتوحة غير متعصبة، يتفاجئون بخلاف ما كانوا يتوقعون، إذ يجدونه كتاباً غير عادي، فمع أنه يتطرق إلى موضوعات كثيرة ومتشعبة، تشمل الكون بما فيه من السماوات والنجوم والكواكب والقمر والأرض وكيف تشكلت، ويتناول الجماد والحيوان، والإنسان وكيف خُلق، ويتحدث عن الأمم الغابرة وقصصها مع أنبيائها، وعن السياسة والاقتصاد والاجتماع، والقانون والتشريع والسلوك والأخلاق، والحرب والسلم، وعن يوم القيامة والحساب والعقاب والجنة والنار ...إلخ. فإنهم يذهلون في الوقت نفسه من دقة تلك المعلومات،وعدم تعارضهامع ما وصلت إليه الاكتشافات العلمية الحديثة في زمننا الحاضر، ويثير إعجابهم كما أثار إعجاب كثيرين ممن سبقوهم على مر القرون.

كما أن هذا المدخل يفيد المهتدين الجدد للإسلام فائدة كبيرة، إذ يمدهم بمعلومات واسعة ومهمة وفي غاية الدقة، بالإضافة إلى فائدته لكثير من المسلمين.

وفي الختام أود التنويه أنني بذلت غاية الجهد والوقت في تأليف وإعداد هذا المدخل، إلا أنني هيهات أن أوفي كتاب الله حقه.

داعياً الله ﷻ أن يتقبله بقبول حسن، وأن ينفع به، وأن يجعله في ميزان حسناتي وحسنات والديَّ، وكل من له فضل عليَّ.

المبحث الأول

القرآن الكريم

القرآن الكريم هو كلام الله المعجز بنصه لفظاً ومعنى، أوحاه الله تعالى، إلى رسوله محمد ﷺ، في مطلع القرن السابع للميلاد، بواسطة الملَك جبريل عليه السلام، مُنَجَّمَاً ــ متفرقاً وليس دفعةً واحدة ــ على شكل سور كاملة، أو أجزاء من سور (آيات).

وقد استغرق تنزيله ثلاثاً وعشرين سنة قمرية تقريباً [1]، على حسب المناسبات والأحوال التي كانت تمر بها الدعوة، منها ثلاث عشرة سنة قمرية في مدينة مكة، وعشر سنوات قمرية في المدينة (يثرب).

وللقرآن أكثر من اسم، أطلقها القرآن على نفسه، وهي: القرآن، والكتاب، والفرقان، والذِّكْر.

ومن خلال القرآن الكريم يخاطب الله سبحانه وتعالى، مخلوقه العاقل ــ الإنسان ــ لهدايته في كل زمان ومكان، مباشرة ومن دون واسطة، بلغة الإنسان نفسه ــ اللغة العربية ــ.

---

(1) كان العرب في الجاهلية يستخدمون السنة القمرية في تقويمهم، وهي أقل من السنة الشمسية بأحد عشر يوماً تقريباً، واستمر الحال كذلك في صدر الإسلام. وفي زمن الخليفة الراشد، عمر بن الخطاب رضي الله عنه، تم اعتماد هجرة النبي ﷺ، من مكة إلى المدينة، بدايةً للتقويم الرسمي للدولة الإسلامية؛ ولذلك يسمى بالتقويم الهجري، وهو في الوقت نفسه تقويم قمري.

ولما كان محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، ورسولاً وبشيراً للناس كافة إلى يـــوم القيامة، بمن فيهم أتباع الأنبياء والـــرسل السابقين ــاليهود والنصارى ــ يقول الله تعالى مخاطباً رسوله محمداً ﷺ: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾ (سورة الأعراف آية 158). ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**﴾ (سورة سبأ آية 28).

لذا لم يكن من المناسب أن تكون معجزته معجزة مادية حسية، كحادثة تقع وتنقضي وتزول ولا تُعرف إلا بالخبر، مثل معجزات من سبقه من الأنبياء والمرسلين، كإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم عليهم السلام، التي اندثرت بمجرد حدوثها، وتوارت في غياهب التاريخ ولم يعد يراها أحد [2].

بل وجب أن تكون معجزته معجزة عقلية خالدة خلود الدهر، يراها ويسمعها الناس كافة في كل عصر ومصر، وهذا ما تحقق في القرآن الكريم، الذي احتوى على رسالة النبي محمد ﷺ، وعلى معجزته في الوقت نفسه. قال الله تعالى: ﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾ (سورة الأنعام آية 38).

---

(2) علماً أن الله ﷻ، قد أيد رسوله محمداً ﷺ، بكثير من خوارق العادات أو المعجزات الحسية، التي يجد القارئ مقتطفات منها في الملحق الأول، صفحة 91 وما بعدها.

وقال الله تعالى: ﴿**إِنَّ هَـــذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْـــوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾ (سورة الإسراء آية 9).

هذا ويلاحظ أن المسلمين – عربهم وعجمهم، متعلمهم وجاهلهم – يحفظون القرآن غيباً كاملاً أو أجزاء منه أو بعض سوره عن ظهر قلب، حتى الذين لا يفقهون كلمة واحدة من اللغة العربية، قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**﴾ (سورة القمر آية 17).

ولم يعرف تاريخ البشرية كتاباً سوى القرآن الكريم، يحفظه ملايين البشر في كل عصر ومصر، من الرجال والنساء والأطفال، سواء كانوا من الناطقين باللغة العربية، أو من الذين لا يفقهون شيئاً منها، وليس هذا فقط، بل إن بعض اليهود والنصارى يحفظون شيئاً من آيات وسور القرآن الكريم.

كما أن للقرآن الكريم تأثيراً نفسياً كبيراً على كثير ممن يسمعه مرتلاً من غير المسلمين، ممن لا يفقهون اللغة العربية، وهذا من إعجازات القرآن الكريم التي ينفرد بها.

الأدلة من القرآن على أنه وحي من الله:

احتوى القرآن الكريم على العديد من الآيات التي تؤكد أنه موحىً به من عند الله، ومنها ما يلي:

1. قال الله تعالى: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**﴾ (سورة الفرقان آية 1).
2. قال الله تعالى: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ (سورة النحل آية 89).
3. قال الله تعالى: ﴿**وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ**﴾ (سورة الإسراء آية 105).
4. قال الله تعالى: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ** ﴿١٩٣﴾ **عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ** ﴿١٩٤﴾ **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**﴾ (سورة الشعراء آية 193 – 195).
5. قال الله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ**﴾ (سورة النمل آية 6).
6. قال الله تعالى: ﴿**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ** ﴿١﴾ **أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ**﴾ (سورة هود آية 1 – 2).

7.قال الله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا**﴾ (سورة الكهف آية 1).

الأدلة من القرآن على أنه ليس من تأليف محمد ﷺ:

أولاً:

احتوى القرآن الكريم على آيات عديدة تأمر الرسول محمداً ﷺ، بـ ﴿**قل**﴾ إجابة عن الأسئلة التي كانت تُوَجَّه إليه [3]. أو من غير سؤال أحد، مثل قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ (سورة البقرة آية 186). وقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي**﴾ (سورة الأعراف آية 203).

وقوله تعالى: ﴿**قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ**﴾ (سورة يونس آية 15).

---

(3) انظر صفحة 44 وما بعدها من المبحث الثاني.

ثانياً:

احتوى القرآن على العديد من الآيات التي تعاتب الرسول محمداً ﷺ، ومنها ما يلي:

1. كان رسول الله ﷺ، منهمكاً في دعوة جماعة من أشراف قريش إلى الإسلام، فأقبل إليه رجل أعمى من المسلمين اسمه عبد الله ابن أم مكتوم، يطلب العلم، وأخذ يكرر طلبه، غير مدرك انشغال رسول الله ﷺ بالقوم، فكره رسول الله ﷺ أن يقطع عليه ابن أم مكتوم كلامه، فعبس رسول الله ﷺ، وأعرض عنه، فنزلت الآيات التالية تعاتب رسول الله ﷺ **﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾** (سورة عبس آية 1 ــ 10) (4).

2. عندما أذن رسول الله ﷺ للمنافقين الذين استأذنوه بالتخلف عن غزوة تبوك بأعذار كاذبة، نزلت هذه الآية تلفت نظره وتوجهه إلى أنه كان عليه التريث حتى يعلم الصادقين في اعتذارهم من

---

(4) استقيت هذا التفسير بتصرف بسيط، من صفوة البيان لمعاني القرآن: للشيخ حسنين محمد مخلوف. وزبدة التفسير من فتح القدير: محمد سليمان عبد الله الأشقر.

الكاذبين[5]. قال الله تعالى: ﴿**عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ**﴾(سورة التوبة آية 43).

3.﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ (سورة التحريم آية 1).

4.﴿**وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾**﴾ (سورة الكهف آية 23 – 24).

5.﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ**﴾ (سورة الأنفال آية 64 – 65).

6.﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾**﴾ (سورة النساء آية 105 – 107).

7.﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾**﴾ (سورة الأحزاب آية 1 – 3).

---

(5)هذا التفسير مستقى بتصرف بسيط، من صفوة البيان لمعاني القرآن. وزبدة التفسير من فتح القدير.

ثالثاً:

من الثابت أن النبي محمداً ﷺ، كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ولم يُعْرَف عنه نظم الشعر، وأحاديثه على الرغم من بلاغتها ووجازتها، فإنها لا ترقى أو تُقارَن ببلاغة القرآن اللغوية، فالبون شاسع بين الاثنين. هذا فضلاً عما اشتمل عليه القرآن من إعجازات تشريعية ومعارف وعلوم وأخبار وحِكَم ... إلخ، التي هي فوق طاقة البشر.

لقد اشتهر محمد ﷺ، لمدة أربعين سنة قمرية قبل البعثة بالصدق والأمانة، حتى إن قومه كانوا يلقبونه بالصادق الأمين. فهل من كان صادقاً وأميناً مع الناس، يمكن أن يكذب أو يتقوَّل على الله؟

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمة الله: " إن محمداً ﷺ الذي قدم للعالم أنفس العقائد والشرائع، في أرقى أسلوب وأنصع بيان، لو كان أتى بهذا الدين من عند نفسه، لا من عند الله، لكان معنى هذا أن البشر أقدر على صنع الأديان من رب البشر. وإلا كيف يُتصور أن القرآن عمل إنساني، وأن العهدين: القديم والجديد عمل إلهي ؟ " (6).

(6) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين. صفحة 21.

تميز القرآن على غيره من الكتب السماوية السابقة

يتميز القرآن الكريم على غيره من الكتب السماوية التي سبقته، وذكرها القرآن الكريم بالاسم وهي: صحف إبراهيم، والتوراة، والزبور، والإنجيل – التي اندثرت وضاعت عبر القرون، أو التي أصابها التحريف والتبديل وانقطاع السند– بميزات عديدة منها:

1.أنه محفوظ بنصه العربي الأصلي، الذي أُوحي به إلى النبي محمد ﷺ، قبل ما يزيد على أربعة عشر قرناً وإلى يومنا هذا، لم يتغير أو يتبدل منه حرفٌ واحدٌ، لا بالزيادة ولا بالنقصان، ولا بالتقديم أو التأخير، كما أنه لا يحتوي على أي عنصر من إنتاج العقل البشري، وذلك لتعهد الله ﷻ بحفظه حيث قال: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ (سورة الحجر آية 9) (7).

وقوله تعالى: ﴿**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ**﴾ (سورة فصلت آية 42).

إن مجرد وجود القرآن الكريم اليوم بنصه العربي الأصلي، بعد أكثر من أربعة عشر قرناً من نزوله يعد إعجازاً خارقاً للعادة، إذا علمت ما جرى للعرب المسلمين خلال تاريخهم من أهوال وفظائع، كما يعد تحدياً مستمراً بوجه أعداء الإسلام – الظاهر

(7) ﴿**الذِّكْرَ**﴾: أحد أسماء القرآن الكريم.

منهم والمستتر ــ.

وقد يتساءل متسائل: لماذا لم يحفظ الله ﷻ التوراة والإنجيل من التحريف والتزييف والضياع، كما حفظ القرآن الكريم؟

والجواب: إن رسالتي موسى وعيسى ابن مريم عليهما السلام كانتا محليتين، إلى قوم معينين هم بنو إسرائيل فقط لا غير، وكانتا مؤقتتين أيضاً، تنتهي صلاحيتهما والعمل بهما ببعثة النبي محمد ﷺ، ورسالته العالمية لكل الناس ــ بمن فيهم اليهود والنصارى ــ ولكل زمان ومكان، ولذلك لم يتعهد الله ﷻ بحفظ التوراة التي أوحاها الله إلى موسى عليه السلام، والإنجيل الذي أوحاه الله إلى عيسى ابن مريم عليه السلام، ولا غيرهما من الوحي الذي أوحاه الله إلى رسله، وترك مسؤولية ذلك على الناس الذين نزلت تلك الرسالات عليهم، والله أعلم.

وللمرتاب أن يرتاب في مصدر القرآن إن أراد، أما كون القرآن الذي بأيدينا اليوم، هو عين القرآن بنصه الذي كان بيد النبي محمد ﷺ، وحفظه منه صحابته رضي الله عنهم عن ظهر غيب وكتابةً، فهذه ظاهرة تاريخية لا يمكن الشك أو الارتياب فيها، حيث لا تجد مما توارثته البشرية في تاريخها الطويل، شيئاً مماثلاً لما عليه القرآن من الثبوت القطعي المحتوم (8).

(8) المبادئ الأساسية لفهم القرآن: أبو الأعلى المودودي، صفحة 25 ــ 26.

يقول الشيخ متولي يوسف شلبي: " فليس في الوجود كله كتاب إلهي أو بشري، لـه مـن الاحترام العلمي، الـقـائم على التواتر والحفظ والصيانة لرسمه وطريقة قراءته وأصوله كلها، غير القرآن الكريم " (9).

2.يعترف القرآن الكريم بجميع الرسالات السماوية السابقة، وبأنبياء الله ورسله السابقين، الذين أُرسلوا إلى قومهم، وبالكتب السماوية التي أُوحِيت إليهم، مثل: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ابن مريم، عليهم جميعاً صلاة الله وسلامه.

وقد فرض – القرآن – على المسلمين أن يؤمنوا بأولئك الأنبياء والرسل وبرسالاتهم ﴿**قُولُواْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ (سورة البقرة آية 136). أي لا يكون المسلم مسلماً، إن لم يؤمن برسالة أولئك الأنبياء والرسل عليهم السلام.

ولهذا تجد أن القرآن الكريم يضم بين دفتيه أصول الديانات السماوية التي نزلت قبله، وقصص أنبيائها ورسلها مع قومهم، ويصحح بطرق وأساليب متعددة – مباشرة وغير مباشرة – ما

(9) أضواء على المسيحية: صفحة 17.

نسب إلى الله ﷻ، وإلى الأنبياء والرسل من أقوال وأفعال، وغير ذلك من الأخطاء التاريخية والعلمية التي وردت في كتب العهدين: القديم والجديد.

3. يتميز القرآن الكريم بخلوه من قصص الدعارة، أو التي تنمي الانحراف مثل: الكذب، والغش، وخيانة الأمانة، والزنا ... إلخ، كما ينزه الله ﷻ، وأنبياءه ورسله عليهم السلام عن كل ما يشين، في حين نجد هذه الأمور – للأسف – مذكورة في أسفار العهد القديم.

4. احتوى القرآن الكريم على تسجيل معجزات الأنبياء السابقين: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ابن مريم عليهم الصلاة والسلام، التي لولا القرآن الكريم لما علم أحد بوقوعها على وجه اليقين.

ومع أن أسفار العهد القديم قد ذكرت بعضها، فإنها ذكرتها مشوبة بأمور غير صادقة، كإخبارهم بأن لوطاً كان مخموراً فوقع على ابنتيه فأنجبتا منه ولدين (10). وغير ذلك مما كُتب فيها عن بعض النبيين؛ مما يدعو إلى عدم قبول أخبارها عن سائر الأنبياء ومعجزاتهم.

---

(10) سفر التكوين 19/31 – 37.

كما رد القرآن الكريم على مزاعم اليهود التي جاءت في كتبهم المقدسة (العهد القديم) من أن الله ــ ﷻ عما يقولون ــ استراح في اليوم السابع (يوم السبت) بعد خلق السماوات والأرض [11].

قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ**﴾ (سورة ق آية 38) [12].

ونفى القرآن الكريم ما جاء في أناجيل النصارى ــ العهد الجديد ــ أن اليهود قد قبضوا على السيد المسيح وحاكموه [13]، كما نفى أنهم صلبوه وقتلوه على الصليب [14].

قال الله تعالى: ﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾**﴾ (سورة النساء آية 157 ــ 158).

---

(11) سفر التكوين 1/2 ــ 3، وسفر الخروج 17/31.

(12) لغوب: تعب وإعياء ونصب.

(13) إنجيل متى 3/26 ــ 4، و14 ــ 16، و47 ــ 50، و56.
وإنجيل مرقص 50/14 ــ 52. وإنجيل يوحنا 3/18.

(14) إنجيل متى 1/27 ــ 2، و11 ــ 38. وإنجيل لوقا 1/23 ــ 25.

كما رد القرآن على مزاعم النصارى ببنوة المسيح لله ﴿**وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ﴿٥﴾**﴾(سورة الكهف آية 4–5).

وبين القرآن حقيقة المسيح،ورد على عقيدة التثليث ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً**﴾ (سورة النساء آية 171).

5. شريعة القرآن أتمت وأكملت جميع شرائع الأنبياء السابقين؛ ولذلك فالقرآن هو المهيمن والمسيطر على الكتب التي سبقته، قال الله تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ**﴾ (سورة المائدة آية 48).

الخطاب موجه إلى النبي محمدﷺ،والكتاب هو القرآن الكريم، المتضمن حقائق الأمور، وأنه حق في نفسه، ومصدقٌ لما تقدمه من الكتب السماوية التي نزلت قبله؛ ولذلك فهو المهيمن والمسيطر والرقيب المؤتمن عليها، فقد بين وأثبت الحق الذي جاء فيها، وصحح ما طرأ عليها من نقص أو زيادة أو تغيير، سواء بسبب

النسيان أو الضياع، أو التحريف والتزوير والتبديل، المتعمد وغير المتعمد، ثم نسخها جميعاً، أي أبطل العمل بها، وحل محلها [15].

6. عن طريق القرآن الكريم آمنا – نحن المسلمين – برسالات ومعجزات الأنبياء السابقين، ومنها رسالة ومعجزات السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، في الوقت الذي أنكر فيه كثير من غير المسلمين معجزات السيد المسيح عيسى ابن مريم، بل إن كثيراً من الناس شكوا في وجود عيسى ابن مريم نفسه، فللقرآن الكريم فضل على المسيحيين في تثبيت وجوده ورسالته [16].

هذا بالإضافة إلى أن القرآن الكريم، برأ السيدة مريم، أم السيد المسيح عيسى، من تهمة الزنى التي رماها بها قومها، عندما أتتهم به تحمله وهي غير متزوجة، فأنطقه الله وهو في المهد ﴿**فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا** ﴿٢٧﴾ **يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا** ﴿٢٨﴾ **فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا** ﴿٢٩﴾ **قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا** ﴿٣٠﴾ **وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا**﴿٣١﴾ **وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا**﴿٣٢﴾

(15) استقيت هذا التفسير بتصرف بسيط، من زبدة التفسير من فتح القدير.

وصفوة البيان لمعاني القرآن. والموسوعة القرآنية الميسرة: الدكتور وهبة الزحيلي وآخرون.

(16) رد مفتريات المبشرين على الإسلام: الدكتور عبد الجليل شلبي. صفحة 228.

وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾(سورة مريم آية 27 – 33).

7. إن الإحاطة والشمول والدقة، في العلوم والمعارف المختلفة الموجودة في القرآن الكريم، لتزري بمحتويات الكتب المقدسة لليهود والنصارى – العهدين: القديم والجديد –.

8. بناء على ما سبق، فإن من يهتدي من اليهود والنصارى ويدخل في الإسلام، فإنه لا يكذب أو يدير ظهره لأنبياء الله ورسله مثل: موسى وعيسى ابن مريم عليهما السلام.

المبحث الثاني

نزول القرآن مُنَجَّماً

لم ينزل القرآن الكريم على النبي محمد ﷺ، دفعة واحدة، إنما نزل منجماً – متفرقاً – على شكل سور أو أجزاء من سور – آيات – في خلال ثلاث وعشرين سنة قمرية.

وهناك أسباب عديدة لنزول القرآن منجماً، منها:

1. كانت الآيات والسور الأولى، تحتوي على إعداد وتوجيه ودعم للنبي محمد ﷺ بالإضافة إلى دعوة أهل مكة للإسلام، وتوجيه ودعم من يسلم منهم، لما يجب عليهم عمله.

2. كان استمرار نزول الوحي على النبي محمد ﷺ، في خلال ثلاث وعشرين سنة قمرية، يشكل دعماً وتقوية لعزيمته مما يلقاه من عنت وعداوة من المشركين،وتعليماً متدرجاً لأصحابه رضي الله عنهم، وإعطائهم الوقت الكافي لفهم وتدبر وحفظ ما ينزل من القرآن والعمل بمقتضاه.

3. التدرج في فرض العقيدة والعبادة، والتشريع المتعلق بالمعاملات والأسرة والعقوبات، والتدرج في تحريم الخمر والربا.

4. ارتبط نزول كثير من آيات وسور القرآن ارتباطاً وثيقاً بالمناسبات – الفردية والجماعية – والأحداث والوقائع والتطورات التي كانت تواجهها الدعوة الإسلامية، حيث كانت تلك الآيات والسور تقدم الحلول أو التوجيهات أو النقد لكل حادثة أو واقعة.

5. كان نزول القرآن منجماً، به تثبيت لفؤاد النبي محمد ﷺ، وعندما تساءل الكفار: "لماذا لم ينزل القرآن دفعة واحدة ؟ "، ردَّ عليهم الله ﷻ: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا**﴾ (سورة الفرقان آية 32).

6. بالإضافة إلى الإجابة عن أسئلة المسلمين عن أمور دينهم ودنياهم، وعن الأسئلة المتحدية للمشركين والمنافقين واليهود، التي كانوا يوجهونها إلى النبي محمد ﷺ، كما سيأتي بيانه لاحقاً [1].

---

(1) المعجزة الكبرى القرآن: الشيخ محمد أبو زهرة، صفحة 18 ــ 19.

وقاموس القرآن الكريم، المدخل: إعداد نخبة من العلماء والباحثين. صفحة 37 ــ 41.

تقسيم القرآن إلى مكي ومدني

نظراً لـنـزول الـقـرآن الكريم منجماً في خـــلال ثلاث وعشرين سنة قمرية، فقد نزل في أكثر من مكان.وقد وضع العلماء المسلمون عدة اصطلاحات لتقسيم القرآن، من أشهرها التقسيم التالي:

المكي: وهو ما نزل قبل الهجرة، وإن كان قد نزل خارج مكة.

المدني: وهو ما نزل بعد الهجرة، وإن كان قد نزل في مكة [2].

نظراً لاختلاف البيئة والظروف بين مكة والمدينة، فقد انعكس ذلك عـلى مـوضـوعـات الـقـرآن التي نـزل في كل منهما، فقد كان الكفر سائداً ومهيمناً في مكة، أمـا في المدينة فقد كانت فيها جماعة مسلمة لها نفوذ وسيطرة، وكانت أعدادها وقوتها تتزايد باطّراد [3].

---

(2) المعجزة الكبرى القرآن. صفحة 20.

ومباحث في علوم القرآن: الدكتور صبحي الصالح، صفحة 168.

(3) قاموس القرآن الكريم، المدخل: صفحة 43.

المرحلة المكية

دامت هذه المرحلة ثلاث عشرة سنة،ويمكن تقسيمها إلى مرحلتين هما:

مرحلة الدعوة السرية:

بدأت هذه المرحلة بنزول سورة العلق، على النبي محمد ﷺ، في غار حراء بأحد جبال مكة، ثم تتابع بعدها نزول سـور: القلم، والمزمل، والمدثر، وكانت تلك الآيات والسور تخاطب النبي محمداً ﷺ في المقام الأول، وكأنها تعده وتؤهله بالتدريج للمهمة الثقيلة والخطيرة والعظيمة التي ستلقى على عاتقه، والتي اختاره الله ﷻ للقيام بها، وتهيئه لمخاطبة ومواجهة كفار مكة خاصة ــ والعرب عامة ــ قويي الشكيمة، أولي الإباء والبأس، المتمسكين بقوة بعاداتهم وتقاليدهم، وعقائدهم التي ورثوها عن أسلافهم. ﴿**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلا ثَقِيلا**﴾ (سورة المزمل:آية5).﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ﴿٢﴾**﴾(سورة المدثر: آية 1 ــ 2).

وقد دامت هذه المرحلة حوالي ثلاث سنوات، وفيها تمت دعوة خيار أهل مكة ممن كان يتوسم فيهم النبي محمدﷺ، الصلاح والرشد، بسرية تامة، وكان من يسلم منهم يقوم بدوره بدعوة من يثق بهم من خيار أقاربه ومعارفه.

ومما يجدر ذكره، أن الدعوة لا يمكن أن تحافظ على سريتها، وذلك بفعل عاملي ازدياد أتباعها المنضمين إليها، والتغيرات الدينية والاجتماعية التي ستطرأ عليهم، وتتابع الأيام، إذ لابد أن تلفت الانتباه إليها، وهذا ما حدث بالفعل، وإن كانت قريش لم تأبه لها في تلك الفترة (4).

(4) الرحيق المختوم: صفي الرحمن المباركفوري. صفحة 77. وفقه السيرة: الشيخ محمد الغزالي. صفحة 103.

مرحلة الدعوة العلنية:

بدأت هذه المرحلة بإعلان النبي محمد ﷺ، نبوته على رؤوس الأشهاد في مكة، ودعوة أهلها لتصديقه والإيمان برسالته، وقد استمرت هذه المرحلة عشر سنوات.

وفي هذه المرحلة آمن جماعة من خيار أهل مكة وما جاورها، ولا زال بمكة وما حولها ناس أخيار كثيرون لم يسلموا بعد.

ودخلت الدعوة الإسلامية، والنبي محمد ﷺ، والقلة القليلة التي آمنت به وبدعوته وصدقته، في مواجهة عنيفة وشرسة مع الأكثرية من المكذبين والمشككين برسالته من مشركي مكة، انتصاراً لعاداتهم وتقاليدهم، وما وجدوا عليه آباءهم وأجدادهم من الشرك بالله، وإنكار البعث بعد الموت، والحساب يوم القيامة والجنة والنار. جاء في القرآن الكريم ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ**﴾(سورة سبأ آية 43).

وكانت آيات وسور القرآن تتوالى بالنزول على النبي محمد ﷺ، تسنده في مواجهتهم وتقرعهم تقريعاً شديداً، يقول الله تعالى: ﴿**لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾(سورة الأعراف آية 179)،

وتثبت لهم بالبراهين العقلية أنهم على خطأ، وتنصحهم بترك غيهم، واتباع جادة الحق،فللحق قوة قاهرة على الباطل. كما كانت ترد على أسئلتهم الاستنكارية أو المتحدية أو استغرابهم واندهاشهم مما جاءهم به القرآن مما يخالف اعتقاداتهم التي وجدوا آباءهم عليها، مثل توحيد الألوهية وعدم الشرك بالله ...إلخ.

كما كانت آيات القرآن تنزل مدافعة عن الرسول محمد ﷺ وعن رسالته، وتقوي عزم الأقلية المسلمة المضطهدة في مكة، وتشد أزرها، وتطالبها بالثبات على دينها،والصبر على ما تلاقي من مصائب ومحن من مشركي مكة، وتبشرهم بأن مكافأتهم هي الجنة.

وقد نهض مشركو مكة عن بكرة أبيهم، وتصدوا بشراسة محاولين قمع وإخماد هذه الدعوة، ووأدها في مهدها لمنعها من الانتشار، ومن ذلك أنهم كانوا يتواصون بعدم الاستماع إلى القرآن، والتشويش عليه عندما كان النبي محمد ﷺ، يرتله حتى لا يؤثر فيهم، وقد ذكر القرآن أنهم كانوايقولون: ﴿**لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾(سورة فصلت آية26). كما استخدموا أسلحة الدعاية والأكاذيب، والاتهامات والشبهات، ونشر الشك والريبة ضد النبي محمد ﷺ وضد القرآن الكريم، لصد وتنفير العرب القادمين إلى مكة

ـ من حجاج ومعتمرين وتجار ومسافرين ـ وتخويفهم من الاستماع إلى ما يقوله محمد ﷺ لكي لا يتأثروا بما يقول.

وعلى الرغم من كل ذلك لم يتمكنوا من الإجماع على رأي واحد يصفون به النبي محمداً ﷺ، والقرآن، مما يدل على حيرتهم وتبلبل أذهانهم، وتضارب آرائهم مما سمعوا من القرآن،فأخذوا يتخبطون في خلع الصفات على النبي محمدﷺ، وعلى القرآن، ومن تلك الادعاءات، ما نقله القرآن عنهم:﴿**بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ**﴾ (سورة الأنبياء آية 21).

وقالوا عنه:﴿**إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ**﴾ (سورة الشعراء آية 27). وقالوا عنه: ﴿**مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ**﴾ (سورة الدخان آية 14).

وقد رد عليهم القرآن:﴿**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ**﴾ سورة القلم آية1 ـ 2.وقالوا:﴿**إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ**﴾(سورة النحل آية103).وقد ردعليهم القرآن في الآية نفسها:﴿**لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ**﴾. وقالوا عن النبي محمدﷺ: ﴿**وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ**﴾(سورة ص آية 4).فرد القرآن عليهم:﴿**فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ**﴾(سورة الطور آية 29).

وقالوا عنه شاعر: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ**﴾ (سورة الطور آية 30).فرد عليهم القرآن:﴿**وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلا مَا تُؤْمِنُونَ** ﴿٤١﴾ **وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلا مَا تَذَكَّرُونَ** ﴿٤٢﴾ **تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ** ﴿٤٣﴾﴾ (سورة الحاقة آية 41 – 43).

وقالوا عن القرآن إنه أساطير الأولين: ﴿**وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**﴾ (سورة الفرقان آية 5). ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**﴾ (سورة الأنفال آية 31).

فردعليهم القرآن:﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ**﴾(سورة يونس آية 39). وقال الله تعالى:مخاطباً نبيه محمداًﷺ، ﴿**قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾(سورةالفرقان آية6).

ومع ذلك أخذت أخبار النبي محمد ﷺ، ودعوته تتعدى حدود مكة وأهلها،وتنتشر في المناطق القريبة من مكة خاصة،وفي باقي أنحاء شبه الجزيرة العربية بشكل عام.

وأخذ الإسلام ينتشر شيئاً فشيئاً في مكة، ولم يبق بيت فيها لم يسلم أحد أفراده، مما زاد من حنق وعداء مشركي مكة للإسلام والمسلمين، عندما رأوا إخوانهم وأبناءهم وبناتهم وبقية أقاربهم قد

أسلموا، وأصبحوا مناصرين ومنافحين عن الإسلام، ومستعدين للتضحية بأموالهم وأرواحهم في سبيل هذا الدين.

ومن العجيب أن الذين يُسلمون كانوا من خيار مجتمعهم، وكانوا يبلغون في صلاحهم وصدقهم واستقامتهم شأواً بعيداً، وكانوا يجسدون ويمثلون الفضيلة والطهارة في أعلى معانيها، حيث لم يتمالك من عرفهم عن قرب، إلا الاقتناع بسمو هذه الدعوة التي كانت تصنع فيهم كل تلك المزايا (5).

وفي الوقت نفسه انهال أهل مكة على المسلمين بألوان من الظلم وأنواع من التنكيل،وقاطعوهم مالياً واجتماعياً،ونغصواعليهم عيشهم، حتى أصبحت إقامتهم في بلدهم مكة لا تطاق، مما اضطر كثيراً منهم إلى الهجرة عبر البحر الأحمر إلى الحبشة مرتين (6).

---

(5) المبادئ الأساسية لفهم القرآن: أبو الأعلى المودودي، صفحة 15.

(6) المصدر السابق. صفحة 14.

أهم موضوعات القرآن المكي وخصائصه

كانت الآيات والسور القرآنية التي نزلت بمكة، تركز على وحدانية الله وعبادته وحده، والإيمان بالملائكة واليوم الآخر، وذكر الجنة والنار وتصويرهما كأن السامع يراهما رأي العين، وتدعو إلى الإيمان برسالة النبي ﷺ. وكانت تبين فساد عبادة الأوثان، وتجادل أهل مكة الطغاة المعاندين، وتشتد في زجرهم وتقريعهم وتسفيه أحلامهم، وعاداتهم وتقاليدهم الجاهلية التي وجدوا آباءهم عليها، وتدعوهم إلى نبذها والالتحاق بصفوف المسلمين. كما اهتمت بقصص الأنبياء والمرسلين السابقين، والعقائد والشرائع التي دعوا قومهم إليها، والفتن والأمراض التي ابتلى بها قومهم، وغيرهم من الأمم الغابرة، وما نزل بالمكذبين منهم من عذاب.

كما يلاحظ خلوها من ذكر أحكام المعاملات والجهاد، وكل ما يتعلق بالحرب؛ وذلك لأن تنفيذ تلك الأحكام يحتاج إلى مجتمع مسلم يعيش في دولة مسلمة، وهذا ما لم يكن متوافراً في مكة في ذلك الوقت، كما كان يكثر في تلك الآيات القسم، جرياً على أساليب العرب (7).

---

(7) المبادئ الأساسية لفهم القرآن. صفحة 16. ومباحث في علوم القرآن. صفحة 183 ــ 185. والمعجزة الكبرى القرآن. صفحة 20 ــ 21.

وكانت تلك الآيات والسور مصطبغة بصبغة الأوضاع المحلية إلى حد بعيد، وإن كانت تتعرض للحقائق الكونية، فإن الدلائل التي كانت تستخلص منها والشواهد التي كانت تشير إليها، كانت تُسْتَقَى مــن البيئة المحلية المألــوفة للعرب المخاطبين الأوائـل بتلك الآيات والسور.

فما جاء فيها من تاريخ فهو تاريخهم، وما قص فيها من أحداث فهي أحداثهم وعاداتهم وتقاليدهم، وما ذكر فيها من آثار فهو ما كانوا يشاهدونه في أسفارهم، ومــا ردد فيها مــن عيوب فعن مفاسدهم العقائدية ومساوئهم الجاهلية، وذلك لكي تصير معاني تلك الآيات والسور أوقع في نفوسهم وأقرب إلى أذهانهم(8).

هــذا ويلاحــظ أن مـعظم الآيات والسور التي نــزلت بمكة – بمرحلتيها السرية والعلنية – والتي دامت ثلاث عشرة سنة قمرية، تتميز بالقصر والإيجاز، مع قوة اللفظ والفصاحة وحلاوتها المتناهية وتأثيرها البالغ في المستمعين، وهي في أعلى درجات الذوق الأدبي، الذي كان يساير مستوى ذوق وبلاغة المخاطبين الأوائل من أهل مكة خاصة والعرب عامة؛ لذا كانت تلك الآيات والسور تنطبع في قلوب المستمعين وتـؤثر فيهم تأثيراً قوياً، حيث لامست تلك الآيات

(8) المبادئ الأساسية لفهم القرآن. صفحة 13.

والسور شغاف قلوبهم، وجذبت اهتمامهم جذباً شديداً لا يمكن نسيانه أو تجاهله، فجرت الألسن بترديدها، بالإضافة إلى تميزها بقوة الحجة وكثرة الأدلة والبراهين. كما أدهشتهم القيم التي جاء بها القرآن الكريم قبل أن يسلموا، مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴿٩٠﴾ **وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا**﴾ (سورة النحل آية 90 – 91)[9].

﴿**أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ** ﴿١﴾ **فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ** ﴿٢﴾ **وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ** ﴿٣﴾﴾ (سورة الماعون آية 1 – 3).

وفي خلال هذا الصراع العنيف والطويل، كان الله تعالى، يُنْزِل على نبيه محمدﷺ، سوراً وآيات قرآنية ــ حسب ما تقضيه الحاجة والمناسبة ــ هياجة وقوية في تأثيرها كمياه النهر المتدفقة، أو الفيضان الجارف، تلهب أرواح وقلوب المسلمين قوة وبسالة في قبول التحدي.

---

(9) تحث الآية على بر وإكرام غير المسلمين، الذين لم يقاتلوا المسلمين ولم يطردوهم من ديارهم، كصلة الرحم ومودة الجار، والضيافة، وأن يعاملوا بالعدل، بأداء ما لهم من حق كالوفاء لهم بالوعد، وإيتاء الأمانه، وأداء أثمان ما يشترونه منهم كاملة غير منقوصة؛ هذا قبل أن يتعرفوا على ما جاء به من إعجازات علمية عن الكون والحياة والإنسان.

استقيت هذا التفسير من الموسوعة القرآنية الميسرة: الدكتور وهبة الزحيلي وآخرون.

وزبدة التفسير من فتح القدير: الشيخ محمد سليمان عبد الله الأشقر.

وعلمتهم واجباتهم الأولية، ونفخت فيهم روح الورع والتقوى والإخلاص والتفاني، وشد أزر بعضهم بعضاً، والطاعة والولاء والأخلاق الفاضلة، والصبر على المكاره، وبذل أقصى طاقتهم بثبات وجلد وشجاعة وتحمل المشاق، وعبأت قلوبهم بشوق دافق إلى جنة عرضها السماوات والأرض، وملأت عقولهم وأفئدتهم بحماسة جياشة دفعتهم لمواجهة أقسى المصائب والمحن، والوقوف بوجه أعتى العواصف من أعدائهم.

وكانت تلك السور والآيات تحذر الكفار وتنذرهم بغضب الله عليهم، وتصور لهم أهوال يوم القيامة وعذاب جهنم الذي ينكرونه، وما آلت إليه الأمم الغابرة، التي يعرفون قصص بعضها، ويرون خرائبها التي كانوا يمرون بها في أثناء أسفارهم وترحالهم، كما كانت تلفت انتباههم إلى الظواهر الطبيعية كالسماء وما بها من نجوم وكواكب وشهب، واختلاف الليل والنهار، إلى آخر ما هناك من عجائب صنع الله في الكون، التي كانوا يشاهدونها بأم أعينهم، والدالة على وحدانية الله الخالق للكون وما فيه، وحتمية يوم القيامة ــ الذي كانوا ينكرونه ــ بدلائل قوية وناصعة تفند معتقدات المشركين وأخطاءهم، وتنفذ إلى أعماق عقول وقلوب السامعين،

وتـزيل الشبهات العالقة بأذهانهم عن صحة الدعوة الإسلامية ونبوة محمد ﷺ(10).

(10) المبادئ الأساسية لفهم القرآن. صفحة 15 ــ 16.

المرحلة المدنية

بعد عشر سنوات من القهر والاضطهاد والقمع والتنكيل بالمسلمين على يد مشركي مكة، فاز المسلمون أخيراً بمقر يؤويهم هو يثرب (المدينة المنورة)، حيث هاجروا إليها بسرية تامة رجالاً ونساء، وحداناً وجماعات، وتركوا كل ما يملكون من أموال منقولة وغير منقولة وراء ظهورهم في مكة، وفي نهاية المطاف تبعهم الرسول محمدﷺ بالهجرة إليها أيضاً.

كما أخذ كل من يسلم من مكة وخارجها يتوجه مهاجراً إلى المدينة، حيث أُطلق عليهم لقب (المهاجرون)، أما الذين أسلموا من أهل المدينة، فقد أُطلق عليهم لقب (الأنصار)، حيث بدأ يتكون من المجموعتين مجتمع مسلم، تمهيداً لإنشاء الدولة المسلمة.

وبذلك دخلت الدعوة الإسلامية مرحلة جديدة، تختلف اختلافاً كلياً وجذرياً عن المرحلة المكية – بشقيها السري والعلني – وبدأت تواجه ظروفاً ومشكلات مستجدة لم تعهدها من قبل في مكة، ممثلة بأربع فئات من الناس:

الفئة الأولى: المسلمون – من مهاجرين وأنصار – حيث أنزل الله آيات وسوراً تخاطبهم وتعلمهم النظام، وتحثهم على الوحدة والإخاء، وتبين

لهم كيف ينشأ المجتمع الصالح، وكيفية تأسيس الدولة في مختلف نواحي الحياة، وتبين لهم مواطن ضعفهم وتحذرهم منها، وتحرضهم على الجهاد، والتضحية بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وكيف يتصرفون في الحرب عند النصر أو الهزيمة، أو في السراء والضراء، والأمن والخوف، وتَعِدُهم بالجنة.

الفئة الثانية: المنافقون، وهم جماعة من أهل المدينة الذين قبلوا الإسلام، وانضووا تحت جناحه ظاهرياً، وهم في الحقيقة كارهون له وللمسلمين. وقد نزلت سورة باسمهم (المنافقون)، تفضحهم وتكشف صفاتهم وأساليبهم ومكائدهم، وما يخبئونه من غدر بالإسلام والمسلمين، وتحذر المسلمين منهم، وتبين لهم كيفية التعامل معهم، بالإضافة إلى آيات أخرى كثيرة مبثوثة في سور القرآن، تتحدث باستفاضة عنهم.

الفئة الثالثة: اليهود، وقد نزلت الآيات والسور تجادلهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وتدعوهم إلى كلمة سواء، واتباع النبي محمد ﷺ، الذي بشرت كتبهم به.

الفئة الرابعة: أهل الذمة، وهم الأفراد والجماعات المسالمة، الذين يعيشون في كنف الدولة المسلمة وتحت حمايتها، من أهل الكتاب

– يهود ونصارى – وغيرهم، بالإضافة إلى المشركين العرب في مكة والمدينة، وباقي أنحاء شبه الجزيرة العربية.

ولمواجهة تلك الظروف المستجدة، أنزل الله تعالى،على نبيه محمد ﷺ، وحياً (سوراً وآيات) يتناسب مع تلك الظروف والاحتياجات، وقد كان أسلوبها يتنوع بتنوع الحاجة أو المشكلة التي نزلت تلك الآيات بشأنها، فمرة تجد أسلوبها كالخطاب المجلجل المتأجج بنار المشاعر، ومرة تجد أسلوبها يحاكي الأوامر الملكية، وثالثة تشابه أسلوب دروس المعلم، ورابعة أسلوب تذكير المصلح الناصح، مع حلاوتها وبلاغتها (11).

أهم موضوعات القرآن المدني وخصائصه

تميزت غالبية الآيات والسور المدنية بالطول والإطناب، وتفصيل البراهين، وبيان الأحكام والتشريعات والحدود والفرائض والمعاملات، والحلال والحرام، والأحوال الشخصية كالزواج والطلاق، وعدة المرأة المتوفى عنها زوجها، والمواريث...إلخ، والحقوق المدنية والاجتماعية، وشؤون السياسة والاقتصاد، والإذن بالجهاد وبيان أحكامه، وحالات الحرب والسلم، عن الغنائم وكيفية توزيعها، إعداد القوة لمواجهة الأعداء(12).

---

(11) المبادئ الأساسية لفهم القرآن. صفحة 17 – 18. ومباحث في علوم القرآن. صفحة 184.

(12) مباحث في علوم القرآن. صفحة 183 – 184 و231.

انتصار سلمي غَـيَّـــرَ مجرى التاريخ:

بعد أن تعرض المسلمون للقهر والاضطهاد في مكة على يد مشركي قريش، اضطروا إلى الهجرة إلى الحبشة مرتين، ثم إلى يثرب (المدينة). وفي نهاية المطاف اضطر النبي محمدﷺ إلى الهجرة مع صاحبه أبي بكر الصديقرضي الله عنه، خفية عن أعين قريش، التي وضعت مكافأة كبيرة قدرها مائتا ناقة لمن يحضر محمداً ﷺ وصاحبه إلى مكة، أحياء أو أمواتاً، ولكنهما نجحا في الوصول إلى المدينة سالمين، بعد رحلة شاقة محفوفة بالمخاطر.

ومن المدينة دارت رحى حروب طاحنة بين المسلمين ومشركي مكة، وقد ظاهر اليهودُ مشركي مكة مادياً ومعنوياً، كما تخاذل المنافقون لفتّ عضد المسلمين في مواجهتهم لمشركي مكة.

وفي السنة الثامنة للهجرة، الموافق سنة 630 ميلادية، قاد النبي محمدﷺ، جيشاً من المسلمين قوامه عشرة آلاف مقاتل[13]، وفَتَحَ مكة دون قتال.

العفو عند المقدرة:

وقبيل دخول مكة أعلن النبي محمدﷺ: أن من دخل دار أبي سُفيان فـهـو آمـن، ومـن أغـلـق بـابـه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو

(13) فقه السيرة: الشيخ محمد الغزالي، صفحة 390.

آمن[14]. وبعد أن دخل نبي الله ﷺ مكة، كَسّرَ الأصنام التي كانت فوق الكعبة، ومسح الرسوم التي كانت بداخلها، وقف على باب الكعبة وقال مخاطباً قريشاً: " يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل فيكم ؟"، قالوا : "خيراً؛ أخٌ كريم وابن أخٍ كريم "، فقال لهم رسول الله ﷺ : " اذهبوا فأنتم الطلقاء " [15].

تحقّق إحدى نبوءات التوراة :

جاء في سفر التثنية 2/33 : أن موسى ـ عليه السلام ـ قال: "جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم".

يذكر الأستاذ عباس محمود العقاد، عن أحد علماء المسلمين الهنود، أنه راجع ذلك النص باللغة العبرية، وترجمه هكذا " أن الرب جاء من سيناء، ونهض من سعير لهم، وسطع من جبل فاران، وجاء مع عشرة آلاف قديس، وخرج من يمينه نار شريعة لهم " [16].

---

(14) السيرة النبوية لابن هشام: القسم الثاني، الجزء الثالث والرابع، صفحة 403.

(15) المصدر السابق: صفحة 412. وفقه السيرة: الشيخ محمد الغزالي، صفحة 395. والرحيق المختوم: صفي الرحمن المباركفوري صفحة 405.

(16) مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية: للأستاذ عباس محمود العقاد. صفحة 14. نقلاً عن كتاب: محمد في الأسفار الدينية العالمية: تأليف مولانا عبد الحق فدرياتي.

والمعروف أن فاران في مكة، ولم يحدث لنبي قبل محمدﷺ، أن قاد جيشاً قوامه عشرة آلاف قديس . هم صحابته . عند فتح مكة. وبفتح مكة انهارت أهم وأكبر معاقل المشركين في شبه الجزيرة العربية، وأخذ الإسلام ينتشر فيها، وأصبحت الأبواب مشرعة لفتح بلاد الشام والعراق ومصر، وطرد المحتلين الرومان والفرس منها.

الأسئلة الموجهة للنبي محمد ﷺ:

كان المسلمون والمشركون واليهود يوجهون أسئلة للنبي محمد ﷺ، طوال فترة الدعوة،ولذلك تجد عبارة(يسألونك) تتكرر في القرآن، وكانت آيات القرآن الكريم تتنزل على رسول الله ﷺ، بالإجابات عن تلك الأسئلة مشفوعة بكلمة (**قُلْ**) (17).

يقول الدكتور صبحي الصالح: "ولتصدير الآيات بعبارة (**قُلْ**) مغزى لطيف يفهمه العربي بالسليقة، وهو توجيه الخطاب للرسول ﷺ، وتعليمه ما ينبغي أن يقول" (18).

ولذلك تـرى الحكمة واضحة جلية، مـن نزول القرآن منجماً، وليس دفعة واحدة.

أمثلة من أسئلة المسلمين والمشركين واليهود، للنبي محمد ﷺ ورد القرآن عليها:

أولاً ــ أسئلة المسلمين ورد القرآن عليها:

1. ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ**﴾ (سورة البقرة آية 189).
2. ﴿**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ**

---

(17) انظر نماذج من تلك الأسئلة في هذه الصفحة وما بعدها.

(18) مباحث في علوم القرآن. صفحة 30.

﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ (سورة البقرة آية 215).

3. ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (سورة البقرة آية 217).

4. ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ (سورة البقرة آية 219).

5. ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ (سورة البقرة آية 219).

6. ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ (سورة البقرة آية 220).

7. ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ﴾ (سورة البقرة آية 222).

8. ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ (سورة المائدة آية 4).

9. ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾ (سورة الأنفال آية 1).

ثانياً ــ أسئلة مشركي مكة ورد القرآن عليها:

1. قال مشركو مكة: يا محمد انسب لنا ربك، أي: اذكر لنا نسبه أوصِفْهُ لنا، فنزلت سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ (19).

---

(19) الموسوعة القرآنية الميسرة. وزبدة التفسير من فتح القدير.

وصفوة البيان لمعاني القرآن: الشيخ حسنين محمد مخلوف.

2. ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً** ﴿١٠٥﴾ **فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا** ﴿١٠٦﴾﴾ (سورة طه آية 105 – 106).

3. ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا**﴿٤٢﴾**فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا** ﴿٤٣﴾ **إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا** ﴿٤٤﴾ **إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا**﴿٤٥﴾ **كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا**﴾(سورة النازعات آية 42 – 46).

4. طلب كفار قريش من يهود المدينة تزويدهم بأسئلة يوجهونها للرسول محمد ﷺ، لكي يحرجوه، فأعـــطاهم اليهود سؤالين: الأول عن ذي القرنين، والثاني عن فتية لهم قصة عجيبة. فجاء رد القرآن عليهم ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا**﴾ (سورة الكهف آية 83).

تجد في هذه السورة الإجابة عن السؤالين الخاصين بذي القرنين و بأولئك الفتية، الذين سماهم القرآن الكريم أصحاب الكهف، ونزلت السورة باسمهم.

5. ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ (سورة الإسراء آية 85). سؤال أعده اليهود في المدينة، وزودوا مشركي مكة به، لكي يسألوه للنبي محمد ﷺ، لإحراجه.

ثالثاً ــ أسئلة يهود المدينة ورد القرآن عليها:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الأعراف آية 187).

انظر إلى الإجابة في هذه الآية، تجد كلماتها تختلف عن كلمات الإجابة عــن السؤال نفسه، في سورة النازعات آية 42، المــذكورة في بند 3، ولكن المعنى واحد.

المبحث الثالث

كيفية حفظ سور القرآن الكريم وترتيبها

كان النبي محمد ﷺ، يحفظ الوحي غيباً حال نزوله إليه، وكان له كُتَّاب يسمون كُتَّاب الوحي، فكان كلما نزلت عليه سورة من القرآن استدعى كُتَّاب الوحي، وأمرهم بكتابتها، ووضعها عقب سورة كذا، وقبل سورة كذا، وحين ينزل شيء من القرآن – آية أو بضع آيات– كان يأمرهم بوضعها في موضع كذا من السورة الفلانية، وذلك بإرشاد إلهي بواسطة الملك جبريل عليه السلام.

هذا ويلاحظ أنه لم يحصل ولا مرة واحدة، طوال ثلاث وعشرين سنة من نزول سور وآيات القرآن الكريم،أن غير الرسول محمدﷺ رأيه، وألغى آية واحدة، أو نقلها من مكانها.

ومع ذلك يجد قارئ القرآن الكريم، أن آياته محكمة النسج، دقيقة السبك، متسقة ومتناسقة مع بعضها في اللفظ والمعنى، وكأنها قيلت في وقت واحد، وهذا من أسرار إعجاز القرآن، وفوق طاقة البشر.

ووفق هذا الترتيب كان النبي محمد ﷺ، يتلو القرآن في الصلوات وغيرها من المناسبات، وكان الصحابة الكرام يسمعونه منه وهو يرتله، فيحفظونه عن ظهر غيب، ويتدارسونه، ويتعبدون بتلاوته، بالإضافة إلى كتابتهم له، وفق هذا الترتيب الذي سمعوه منه.

ومن السماع مباشرة من فم النبي محمد ﷺ، أو بواسطة صحابته الكرام، كانت سور وآيات القرآن الكريم تنتقل مشافهة إلى غيرهم من المسلمين في مكة وما جاورها، ومن بعدها في المدينة وخارجها بعد الهجرة، واستمر نزول سور وآيات القرآن وترتيبها على هذا المنوال، حتى اكتمال نزوله.

فترتيب القرآن على الوضع الذي هو عليه حالياً بأيدينا، هو ترتيب توقيفي من الله ﷻ، عن طريق الملك جبريل عليه السلام إلى النبي محمد ﷺ، وليس لأحد تدخل في ترتيبه، وتم حفظه بالصدور والسطور في حياة النبي محمد ﷺ، واستمر المسلمون يحفظون القرآن في صدورهم جيلاً بعد جيل إلى يومنا هذا [1].

(1) المبادئ الأساسية لفهم القرآن. صفحة 22 ــ 23. والمعجزة الكبرى القرآن. صفحة 22 ــ 23. ومباحث في علوم القرآن. صفحة 65 ــ 74.

ميزة ترتيب سور القرآن الكريم

إن ترتيب سور القرآن الكريم، كما هو موجود في المصاحف، وكما يحفظه المسلمون، يعد أكثر انسجاماً وأشد تجانساً، وأدق ارتباطاً مع حاجات المسلمين في كل زمان ومكان، وهذا أحد إعجازات القرآن. ففي هذا الترتيب يجد قارئ القرآن أن الآيات المكية تتخللها آيات مدنية، والمواعظ الابتدائية تحف بها الوصايا النهائية، وتعاليم المرحلة الختامية تواكبها تعاليم المرحلة الابتدائية، فيلمح القارئ أمام عينيه منظر الإسلام الكامل وتخطيطه الشامل، مشرقاً متلألئاً بصفة مستمرة [2].

(2) المبادئ الأساسية لفهم القرآن. صفحة 20 ــ 22.

موضوعات القرآن الكريم

يحفل القرآن الكريم بموضوعات كثيرة منوعة ومتشعبة، منها على سبيل المثال لا الحصر:

خَلْق الكون منذ زمن سحيق، وما فيه من سماوات ومجرات وكواكب ونجوم وشهب، يقول الله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴿٣٠﴾وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴿٣٢﴾وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾** (سورة الأنبياء آية 30 – 33).

والأرض وما فيها من بحار وعواصف وأمواج هائلة، وجبال ورياح وسحب وغيوم وكيفية تشكلها، وبرق ورعد، وأمطار وأنهار وأشجار ونباتات وحيوانات وطيور وحشرات،ونار،والشمس وشروقها وغروبها، وتوالي الليل والنهار والقمر ومطالعه. وخَلْق الإنسان ونشأته ونومه ويقظته وموته،وعن الأخلاق الفاضلة وآداب الحياة.وتناول تاريخ الأمم الغابرة، وانتقد سلوكها وعقائدها الوثنية، وعن قوانين إنشاء الدول وزوال الحضارات، كما تناول الأمور الغيبية وغيرها [3].

(3) المبادئ الأساسية لفهم القرآن. صفحة 11.

كما أن للمرأة مكانة خاصة في القرآن الكريم،ولذلك تجد خمس سور من سوره تخصها، وهي: سورة النساء، وسورة مريم، وسورة المجادلة، وسورة الممتحنة، وسورة الطلاق، هذا بخلاف العديد من الآيات المبثوثة في سور القرآن الكريم، والتي تتعرض أو تعالج شؤون المرأة.

كمايلاحظ أن القرآن الكريم يخلو من تفصيل أمور مهمة للغاية، كالصلاة والزكاة، التي يعيد ذكرها، ويؤكد على أهميتها بشدة، وكذلك فريضة الحج، فقد ترك ذلك إلى النبي محمد ﷺ، ليبينه ويوضحه للناس.

أي: أن الله ﷻ أنزل القرآن، وأرسل معه رسوله محمداً ﷺ، ليبين للناس من خلال سنته القولية والفعلية ما يريده الله منهم، وما لا يريد (4).

مع تنوع وشمول وغزارة موضوعات القرآن الكريم وتشعبها، فإنها تتآلف وتتحد لتخدم موضوعه الرئيس أو المركزي، وهو الإنسان وتعريفه بنفسه وبخالقه وبحقه عليه، وهدايته وإخراجه من ظلمات الجهل والخرافة والشرك أو الكفر بالله، إلى نور الإيمان بالله وحده.

---

(4) المبادئ الأساسية لفهم القرآن. صفحة 33 ــ 34.

حرية الاختيار والمسؤولية الشخصية

يخاطب القرآن الكريم الإنسان، ذلك المخلوق الـذي ميزه الله ﷻ ــ عن بقية مخلوقاته ــ بالعقل الذي يمكنه بواسطته إدراك الحق من الباطل والخير من الشر، وتمييز الخبيث من الطيب. وبَيَّنَ له الطريق المستقيم وحثه على اتباعه، وحذره من غواية الشيطان ووساوسه، وأعطاه حرية الإرادة في اتباع المنهج الصحيح أو مخالفته، وعليه أن يتحمل عاقبة اختياره (5).

﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾(سورةالبقرة آية 256).

﴿**أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى**﴾ (سورة القيامة آية 36).

﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ**﴾ (سورة الكهف آية 29).

﴿**مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾ (سورة الإسراء آية 15).

﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾ (سورة الإنسان آية 3).

﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا**﴾(سورة الجاثية آية 15).

﴿**كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ**﴾ (سورة الطور آية 21).

---

(5) المبادئ الأساسية لفهم القرآن. صفحة 7 و9 ــ 10.

أسلوب القرآن في عرض موضوعاته

يتميز القرآن الكريم بأسلوب فريد في تعاطيه لموضوعاته العديدة والمتشعبة وأسلوب معالجتها، فتراه يوضح ويناقش ويستفسر، ويضرب الأمثلة المختلفة مما يراه الإنسان في بيئته، أو يحسه في نفسه أو يخطر بباله عن حياته وبعد موته، ويهدم العقائد الباطلة، والتصرفات غير السليمة، ويبني مكانها العقيدة الصحيحة ويعطي التعليمات الأخلاقية، ويضع القوانين، ويحث على طاعة الرسول محمد ﷺ، والالتزام بما جاء به، ويحذر المخالفين والمعاندين، وينذرهم من مغبة عملهم، ويعطي البشارات للمؤمنين، وينظم حياة الفرد والأسرة والمجتمع وبناء الدولة، ويشير إلى الأمم والحضارات الغابرة، والأحداث التاريخية، ويستنبط منها الدروس والعبر، كما يتحدث عن الموضوعات السياسية والاجتماعية، والاقتصادية والقانونية والحربية.

وهو في هذا الخضم، لا يتعرض لتلك الموضوعات وغيرها إلا بقدر الحاجة، وما يتفق مع أهدافه ومقاصده، متجنباً ذكر كثير من التفاصيل غير الضرورية، وبما يتناسب مع هدفه الرئيس وهو الإنسان، ولفت نظره إلى خالقه، وإلى المنهج الذي يجب عليه اتباعه بكامل حريته. ولهذا تجد المسائل العقائدية والتعاليم الخلقية والأحكام الشرعية، والدعوة والنصيحة والعبرة والنقد والزجر، والتخويف والترغيب،

والحجج والشواهد والبراهين، والقصص التاريخية، والإشارة إلى آيات الله في الكون، كل ذلك يتكرر بيانـه بين حين وحين، ويُبْدَأُ ويُعـاد بوجوه مختلفة وأساليب متنوعة، وتجد في بعضها تفصيلاً لما سبق إيجازه، أو إيضاحاً لما سبق ذكره، وكل ذلك تجده معروضاً في القرآن الكريم بأساليب جميلة أخَّاذة، تشد انتباه القارئ أو السامع إليها شداً.

كما يلاحظ أنه بينما يطرق موضوعاً ما،فإذا به يولي وجهه شطر موضوع آخر بغتة ودون تحضير، أو علاقة ظاهرة بين الموضوعين، ثم يعود إلى موضوعه الأول، كما يتبدل المتكلم والمخاطب، ويتغير اتجاه الحديث دون إشعار أو تنبيه.

وهكذا يستمر القرآن الكريم في أسلوبه الفريد،وطريقته الخاصة بعرض موضوعاته ومعالجتها، بنمط يختلف عما هو متعارف عليه في الكتب التي يؤلفها البشر (6).

(6) المبادئ الأساسية لفهم القرآن. صفحة 3 ــ 4 و11.

اللغة العربية الجميلة

تطورت اللغة العربية، وتقدمت من خلال مسيرتها عبر التاريخ، حتى إذا أَهَلَّ القرن السابع للميلاد ــ مع بداية الدعوة الإسلامية ــ، كانت اللغة العربية قد بلغت أوج تطورها ونضجها وجمالها.

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز، عن عصر نزول القرآن: "هو أزهى عصور البيان العربي، وأرقى أدوار التهذيب اللغوي، وهل بلغت المجامع اللغوية في أمة من الأمم ما بلغته الأمة العربية في ذلك العصر من العناية بلغتها، حتى أدركت هذه اللغة أَشُدَّها، وتم لهم ــ العرب ــ بقدر الطاقة البشرية تهذيب كلماتها وأساليبها"(7).

ويضاف إلى ذلك ثرائها الواسع بمفرداتها، انظر على سبيل المثال: إلى أسماء السيف، والأسد، والخيل والإبل، وتوزيع ساعات الليل والنهار. وقد احتوت اللغة العربية، القرآن الكريم لفظاً ومعنى، وفي ذلك يقول الشاعر حافظ إبراهيم، على لسان اللغة العربية:

وسِعتُ كتاب الله لفظاً وغايةً وما ضِقتُ عن آيٍ به وعظاتِ
أنا البحرُ في أحشائه الدُّرُ كامِنٌ فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي

كما أنها لغة مطواعة بشكل مذهل بسبب قدرتها الاشتقاقية، التي لا يمكن أن تباريها أي لغة في العالم. انظر على سبيل المثال:

(7) النبأ العظيم. نظرات جديدة في القرآن: الدكتور محمد عبد الله دراز. صفحة 83 ــ 84.

الحروف (ع ل م) بإمكاننا أن نكون من تلك الحروف الثلاثة كثيراً من المفردات، مثل: عِلْم، وعَلَّم، ومُعلِّم، ومُتَعَلِّم، وتعليم، ومُعَلَّم، وعالِم، وعلوم، ومعلوم، وعالَم، ومَعْلَم، ومَعَالِم ... إلخ.

والحروف (د ر س): درس، وتدريس، ومَدْرَسة، ومُدَرِّسة، ومُدَرِّس ودارِس .... إلخ.

والحروف (ك ت ب) كتب، وكِتاب، وكاتِب، ومكتوب، وكِتابة، ومَكْتَب، واكتتب، ويكتب... إلخ.

فاللغة العربية من حيث قدرتها الاشتقاقية، تشبه إلى حد بعيد العجينة، حيث تستطيع أن تصنع منها مأكولات كثيرة ومتنوعة، كالخبز بأنواعه، والكيك بأنواعه، والمعجنات، والحلويات والبسكويتات ...إلخ. هذا وتتميز اللغة العربية، وتنفرد عن غيرها من اللغات الأخرى، باحتوائها على ما يلي:

1. المثنى

مثل: قالا، أكلا، ذهبا، خُذا، جُرّا ... إلخ.

2. **جمع القلة وجمع الكثرة:**

المفرد	المثنى	جمع القلة	جمع الكثرة
عين	عينان	أعين	عيون
باب	بابان	أبواب	بيبان
ثوب	ثوبان	أثواب	ثياب
سيف	سيفان	أسياف	سيوف
بيت	بيتان	أبيات	بيوت
ثمرة	ثمرتان	ثمار	ثمر

3. **نون النسوة**

مثل: ذَهَبْنَ، اِشْتَرَيْنَ، لَبِسنَ، أَكَلْنَ، نِمْنَ، اِستَيقَظْنَ ... إلخ.

بالإضافة إلى تميز اللغة العربية، في أن كثيراً من ألفاظها تَدُلُّ على المعنى، فعلى سبيل المثال: زقزقة العصافير، وصهيل الخيل، وحمحمتها، وعواء الذئب، وخرير الماء ... إلخ.

فعندما تسمع هذه الكلمات أو تقرؤها، تشعر كأنك تسمع تغريد الطيور، أو الأصوات المنبعثة من الخيل، أو ذئباً يعوي في ظلام الليل، أو الماء المتساقط ... إلخ.

يقول أبو الأعلى المودودي: "إذا نظرت إلى اللغة العربية ودرستها وسبرت غورها، وتعمقت في آدابها، فستقتنع أنه لا توجد لغة على سطح الأرض أكثر مناسبة أو تهيؤاً أو تأهيلاً، للتعبير عن الأفكار والأمثلة العليا، ولتفسير أو شرح المشكلات الدينية أو الدنيوية، بدقة وكياسة وشمول، مع مراعاة الذوق العام وأحاسيس الآخرين والتأثير عليهم، كاللغة العربية.

فلهذه اللغة القدرة على التعبير بدقة متناهية، عن عالم من الأفكار والأحاسيس بعبارات موجزة أو جمل قصيرة، ترتعش لها القلوب والفرائص هلعاً وخوفاً من الوعد والوعيد، أو تنساب برقة وروعة وجمال يأخذ بالألباب، فتتسلل إلى القلب فتحرك الإنسان بنشوة وطرب وابتهاج من تناسق تعابيرها وتناغم حروفها، أو تثير أشجانه فتتساقط الدموع من عينيه أسى وحسرة.

إن جمال اللغة العربية وحلاوتها أمر يصعب وصفه، وتفوق حلاوة العسل في الفم. إنها تلك اللغة الغنية والقوية، التي احتضنت كلام الله ﷻ – القرآن الكريم – إلى الناس أجمعين، وإلى يوم القيامة"(8).

(8) نحو فهم الإسلام (Towards Understanding Islam): أبو الأعلى المودودي. صفحة 37.

بلاغة العرب

تميز العرب آنذاك بالبلاغة والفصاحة، ونزوعهم للكلام الطيب شعراً ونثراً، مما لا يقارن بمعاصريهم من الشعوب الأخرى، يساعدهم في ذلك ذاكرة قوية لماحة، ذات قدرة على الحفظ، ولغة جميلة ثرية بمفرداتها ومطواعة. وقد انفردوا بين شعوب الأرض بعمل المسابقات اللغوية نثراً وشعراً في أسواق عكاظ،وذي المجنة، وذي المجاز، حيث كانت تُعقَدُ لجان التحكيم، والقصائد الفائزة تُعلَّق على أستار الكعبة.

ولم يدانهم شعبٌ من الشعوب في حبهم للنثر والشعر، على الرغم من الأمية المتفشية فيهم، فقد كانوا سريعي الخاطر، والرد السريع البدهي، يتذوقون الكلام، ويطربون لفصاحته وبلاغته.

يصف القاضي الأندلسي عياض،المتوفى سنة544هـ، 1149م، بلاغة العرب في كتابه الشفاء حيث يقول: "خُصُّوا من البلاغة والحكم بما لم يُخَصَّ به غيرهم من الأمم، وأُوتوا من ذرابة اللسان ما لم يُؤْتَ إنسان، ومن فصل الخطاب ما يقيد الألباب، جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة، وفيهم غريزة وقوة، يأتون منه على البديهة بالعجب، ويدلون به إلى كل سبب، فيخطبون بديهاً في المقامات وشديد الخطب، ويرتجزون به بين الطعن والضرب،

ويمدحون ويقدحون، ويتوسلون ويتوصلون، ويـــرفعون ويضعون، فيأتون من ذلك بالسحر الحلال، ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللآل، فيخدعون الألباب، ويذللون الصعاب، ويُذهِبون الإحن، ويهيجون الدِّمَن، ويجرئون الجبان ... منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل، والكلام الفخم والطبع الجوهري، والمنزع القوي، ومنهم الحضري ــ ساكن المدن ــ ذو البلاغة البارعة، والألفاظ الناصعة، والكلمات الجامعة، والطبع السهل، والتصرف في القـــول القليـــل الكلفـــة، الكثير الرونـــق، الرقيق الحاشية" (9).

(9) عن المعجزة الكبرى القرآن: الشيخ محمد أبو زهرة. صفحة 57.

إعجاز القرآن

يضم القرآن الكريم بين دفتيه إعجازات كثيرة ومتعددة، منها على سبيل المثال: بلاغة وفصاحة نصوصه لفظاً ومعنى – سأتناولها في الإعجاز البلاغي للقرآن –. وقيمه وتشريعاته المنظمة لحياة البشر منذ أن أُنزِل وإلى يوم القيامة، وإخباره عن غيب الأمم الماضية، ونبوءاته عن المستقبل، وإعجازاته العلمية التي تشمل مختلف نواحي الكون والحياة.

ويلاحظ أن آيات وسور القرآن الكريم، التي تحتوي على الإعجازات العلمية أو الإشارة إليها، مصوغة بأساليب بيانية عجيبة ومعجزة، فهي لا تتصادم ولا تتنافر أو تتضارب مع معارف الإنسان ومعلوماته، بغض النظر عن مدى علمه، أو مستوى إدراكه العقلي، أو المستوى العلمي والحضاري الذي بلغته الإنسانية في أي عصر ومصر، منذ أن أُنزِل قبل أكثر من أربعة عشر قرناً وإلى يومنا هذا.

فهي – آيات وسور القرآن – تتماشى مع تقدم الإنسان وتطوره العلمي والحضاري، ولا يمكن أن تشي بأسرارها، أو أن تبوح بمكنوناتها، أو تسمح لأحد بسبر أغوارها، وكشف ما تحتويه من كنوز وإعجازات علمية، في الموضوعات الكونية والطبيعية من جماد ونبات وحيوان وإنسان...إلخ، التي يزخر القرآن بها، قبل أن

يحين وقت كشفها، وهو تقدم الإنسان وتطوره في مضمار العلم والحضارة، عندها فقط يكشف القرآن عن بعض مكنوناته، التي كانت مبهمة وعصية على الفهم الصحيح لمعانيها، بمقدار التقدم العلمي الذي وصل إليه الإنسان، عندئذٍ فقط تنفتح مغاليقها أمام ناظريه جلية واضحة، بحيث يرى أهل كل عصر ومصر في آيات وسور القرآن الكريم معاني متجددة، تناسب وتواكب آخر ما توصلوا إليه من علم في شتى المجالات.

ويضاف إلى ما سبق، أنه بقدر علم القارئ وتخصصه أو تعمقه في أي مجال من مجالات العلم والمعرفة، فسيجد أن القرآن الكريم يفتح له آفاقاً رحبة من العلم والمعرفة في مجال علمه أو تخصصه. وهكذا دواليك إلى ما لا نهاية، أي: أنه من المستحيل أن يستنفد الإنسان – مهما بلغ من تقدم ورقي في مجالات العلم والمعرفة – معجزات القرآن؛ لأن هذا فوق طاقة البشر أفراداً أو مجتمعين.

لذا تجد أن تقدم الإنسان في علوم الكون والحياة يخدم القرآن، ويميط اللثام عن بعض إعجازاته أو أسراره، التي كانت مبهمة أو عصية على الفهم الصحيح. وذلك مصداقاً لقوله تعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (سورة فصلت آية 53).

مخاطبة العامة والخاصة:

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز، في الفرق بين مخاطبة العامة والخاصة: "وهاتان غايتان متباعدتان عند الناس، فلو أنك خاطبت الأذكياء بالواضح المكشوف الذي تخاطب به الأغبياء،لنزلت بهم إلى مستوى لا يرضونه لأنفسهم في الخطاب،ولو أنك خاطبت العامة باللمحة والإشارة التي تخاطب بها الأذكياء لجئتهم من ذلك بما لا تطيقه عقولهم، فلا غنى لك – إن أردت أن تعطى كلتا الطائفتين حظها كاملا من بيانك – أن تخاطب كل واحدة منهما بغير ما تخاطب به الأخرى؛كما تخاطب الأطفال بغير ما تخاطب به الرجال. فأما أن جملة واحدة تُلقى إلى العلماء والجهلاء، وإلى الأذكياء والأغبياء، وإلى السوقة والملوك، فيراها كل منهم مُقدَّرةً على مقياس عقله وعلى وفق حاجته، فذلك ما لا تجده على أتمه إلا في القرآن الكريم. فهو قرآن واحد يراه البلغاء أوفى كلام بلطائف التعبير، ويراه العامة أحسن كلام وأقربه إلى عقولهم لا يلتوى على أفهامهم، ولا يحتاجون فيه إلى تُرجمان... فهو متعة العامة والخاصة على السواء (10).

(10) النبأ العظيم. نظرات جديدة في القرآن: صفحة 113.

ومن المدهش أنه على الرغم من ذلك الفيض الهائل من المعلومات التي يحتويها القرآن الكريم، فإن العلم الحديث لم يكتشف إلى يومنا هذا ما يخالف أو يتناقض مع أي منها.

قال الله تعالى: ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا**﴾ (سورة النساء آية 82) (11).

جاء في الأثر عن القرآن: "لا يُخْلِقُه طولُ الرَّد، ولا تنقضي عجائبه" (12).

---

(11) انظر مقتطفات من إعجازات القرآن العلمية، وأسلوب صياغتها المعجز، في صفحة 122 وما بعدها من الملحق الثاني.

(12) لا يُخْلِقُه طولُ الرَّد: أي أن المداومة على قراءته أو الاستماع إليه، لا يجعله بالياً مملاً، بل هو دائماً غض طري.

الإعجاز البلاغي للقرآن ومناسبته للعرب

للقرآن الكريم إعجازات كثيرة ومتعددة، إلا أن إعجازه البلاغي أو البياني، هو أول مـا لفت انتباه العرب أهل البلاغة والفصاحة والبيان، فقـد بهرتهم دقـة ألفاظه وفصاحة وبلاغة آياتـه وسوره، وأدهشتهم وشدت انتباههم بقوة، وجعلت آذانهم ترهف السمع إليه ــ قبل استكمال نزوله، وظهور إعجازاته الأخرى، من تشريعات وأخبار الغيب والعلوم الكونية ...إلخ، التي كانت فوق مستوى مداركهم ومدارك غيرهم ــ. لذا كان العرب أكثر تأهيلاً، وأقدر من غيرهم لفهم الإعجاز البلاغي والبياني للقرآن الكريم، وسموه وخروجه عن طاقة البشر اللغوية.

فعندما قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه مطلع سورة طه، لم يتمالك نفسه حتى قال:ما أحسن هذا الكلام وأكرمه، وأسلم من فوره[13].

وعندما سمع الوليد بين المغيرة ــ من كبار أهل مكة وأثريائها ــ القرآن الكريم، قـال مخاطباً قـريشاً: "والله مـا منكم أحـد أعـلم بالأشعار مني، أعرف رجزها وقصيدها، والله ما يشبه الذي يـقـولـه ــ محمد ﷺ ــ شيئاً مـن ذلك، إن لـه لحلاوة، وإن عليه

(13) الرحيق المختوم: صفي الرحمن المباركفوري. صفحة 103.

لطلاوة، وإن أعـــلاه لمثمر، وإن أسفلــه لمغدق، وإنــه ليعلو ولا يُعْلَى عليه، ما يقول هذا بشر" (14).

وعندما سمع عتبة بن أبي ربيعة ــ من كبار أهل مكة ــ القرآن الكريم قال: " والله قد سمعت قولاً ما سمعت مثله قَطّ، ما هو بالشعر ولا بالكهانة " (15).

ومن الأمثلة على بلاغة القرآن الكريم: كانت العرب في الجاهلية تقول: "القتل أنفى للقتل"، بمعنى أن قتل القاتل، سوف يمنع الآخرين ويردعهم من اقتراف جريمة القتل.

فـجـاء القرآن بعبارة أجمل وأبـلـغ مما قالته الـعـرب ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ (سورة البقرة آية 179).

أي أن لكم في تشريع القصاص، القائم على المماثلة لفعل الجاني قتلاً أو جرحاً، حياة آمنة يا ذوي العقول، فإن من هَمَّ بالقتل، إذا علم أنه سَيُقْتَصُّ منه بالقتل، خـــاف وارتـدع، فسلم هــو وسلم الناس من يده (16).

---

(14) المعجزة الكبرى القرآن. صفحة 61.

(15) المصدر السابق. صفحة 62.

(16) بتصرف بسيط، من الموسوعة القرآنية الميسرة: الدكتور وهبة الزحيلي وآخرون.
وصفوة البيان لمعاني القرآن: الشيخ حسنين محمد مخلوف.

ومـن إعجاز القرآن البلاغي قول الله تعالى: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ (سورة القصص آية 7).

انظر إلى هذه الآية، تجدها قد اشتملت على أمرين، ونهيين، وخبرين، وبشارتين، في إيجازٍ مُحكمٍ، يـدل عـلى قـمـة البلاغـة والفصاحة والإعجاز [17].

وبإذعان العرب لبلاغة القرآن وفصاحته، وبعجزهم عن أن يأتوا بمثله، فقد قامت الحجة والبرهان عليهم، وعلى عجز من يأتي بعدهم من البشر، وذلك لقدرتهم الفائقة على تذوق الكلام وإدراك جماله، كالصانع أو الجواهري الخبير، الذي يعرف الجواهر والأحجار الكريمة من رنينها ووزنها ... إلخ.

وبذلك يكون العرب قد أسدوا معروفاً للبشرية ــ في زمانهم وإلى يوم القيامة ــ لا يمكن أن تجازيهم عنه، فقد قاموا بالنيابة عنها بتدقيق وتمحيص إعجاز القرآن الكريم من الناحية البلاغية أو البيانية، وأقروا وأذعنوا لبلاغته وفصاحته، وأنه فوق طاقة البشر، وتـركوا للبشرية جمعاء عـلى اختلاف أديـانهم وعقائدهم، منذ ذلك اليـوم وإلى يـوم القيامـة، القيام بـفـحـص وتـدقيق

(17) الموسوعة القرآنية الميسرة.

الإعجازات الأخرى للقرآن الكريم، التاريخية والعلمية والتشريعية ...إلخ، للعثور على أي خطأ فيه، فإن عجزت ــ البشرية جمعاء ــ عن ذلك، مثلما عجز العرب في الميدان اللغوي، فإن هذا يؤكد صدق النبي محمدٍ ﷺ، أن القرآن مُوْحَىً به من الله ﷻ، إليه للبشرية كافة إلى أن تقوم الساعة.

القرآن والعقل:

من أكبر نعم الله على الإنسان العقل؛ إذ هو الذي يفرق بين الإنسان والحيوان، وهو مناط التكليف، ومن دونه أو بتغييبه – بواسطة المسكرات وغيرها،أو بالجنون الدائم أو المؤقت أو الإغماء ... إلخ – تسقط التكاليف الدينية عن المسلم، وقد شدَّد القرآن الكريم على أهمية العقل، وخاطب العقلاء في كثير من آياته ﴿**لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ (سورة العنكبوت آية 51). ﴿**لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ (سورة فصلت آية 3). ﴿**لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ (سورة الروم آية 28). ﴿**لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾(سورة البقرة آية 219).﴿**لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾(سورة الدخان آية 58). لأن الدين لا يُفْهَمُ إلا بالعقل، ولا يمكن إقامة الدليل والبرهان والحجة على صحة الوحي الإلهي إلا بالعقل. ولقد عاب القرآن على الذين لا يستخدمون عقولهم، قال الله تعالى:

﴿**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ (سورة المُلك آية 10). ﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ**﴾ (سورة الانفال آية 22).

﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾ (سورة الأعراف آية 179).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (سورة البقرة آية 170).

القرآن والعلم:

حَثَّ القرآن الكريم على طلب العلم واكتساب المعرفة، وربطه بالإيمان، وزين للمسلم حب المعرفة.

جاء في القرآن الكريم ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ (سورة الزمر آية 9). وجاء في القرآن الكريم ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ**﴾ (سورة الأنعام آية 50). وجاء في القرآن الكريم ﴿**قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ (سورة المائدة آية 100). وجاء في القرآن الكريم ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ (سورة طه آية 114).

وقد شجع القرآن الكريم، الإنسان وحَثَّهُ على السير في الأرض، والتعرف على كيفية بدء الخلق، قال الله تعالى: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ**﴾ (سورة العنكبوت آية 20).

وحَثَّهُ على السير في الأرض، واستقراء تاريخ الأمم الغابرة، قال الله تعالى: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾

(سورة الأنعام آية 11). وقال الله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ**﴾ (سورة يوسف آية 109). وقال الله تعالى: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ**﴾ (سورة النمل آية 69). وقال الله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ**﴾ (سورة الروم آية 9).

لذا ترى بأم عينيك، أن القرآن والعقل والعلم يجتمعون ولا يتناقضون بتاتاً، ولهذا السبب لم ينشأ في الإسلام في أي يوم من الأيام طوال تاريخه ــ الذي يزيد على أربعة عشر قرناً ــ صراع بين الدين والعلم، أو بين الدين والعقل.

سبب نزول القرآن الكريم باللغة العربية

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين؛ لأنه لسان قوم النبي محمد ﷺ الذي بعث فيهم، إذ إن من سنة الله ﷻ، أن يرسل الرسل بلسان قومهم، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ**﴾ (سورة إبراهيم آية 4).

سبب مخاطبة القرآن للعرب في آياته وسوره الأولى

جاء القرآن الكريم لهداية البشر كافة، منذ أن أوحي إلى الرسول محمد ﷺ، وإلى قيام الساعة، إلا أنه يلاحظ أنه كان يخاطب العرب في المقام الأول في بدايات نزوله، وأن معظم ما جاء في تلك الآيات والسور، يرجع إلى ما يختص بذوق العرب، وبيئتهم وتاريخهم وتقاليدهم، وإن كان يوجه خطابه أحياناً إلى الناس كافة.

ومع ذلك يلاحظ أن القرآن ما دعا في تلك الآيات والسور إلى عقيدة أو فكرة أو تصور، أو عرض فيها مبدأً في الأخلاق، أو قاعدة في الحياة العملية، تختص بالعرب وحدهم، أو تنحصر بحكم الزمان والمكان في حدود لا تتعداها. لقد رفض القرآن الشرك بالله، وهذا يصدق على كل أنواع الشرك عند جميع الأمم، وفي كل الأزمان، كما يصدق على العرب سواء بسواء.

ثم إن الدلائل التي جاء بها القرآن لنقض عقائد الشرك بالله، تصلح لكل قوم وزمان ومكان، والشيء نفسه ينطبق على دلائل التوحيد وإثباتها.

وبإمكاننا معرفة أو تعليل سبب مخاطبة القرآن للعرب في بدايات نزوله، لأنهم كانوا هم المخاطبين الأوائل به، فكان لزاماً أن يُوَجِّه نظرهم إلى ما حولهم من شواهد يبني عليها دلائل التوحيد.

إن النظام القومي لشعبٍ من الشعوب،إما أن يدعو إلى تفضيل شعب على غيره من الشعوب، ويدعي له حقوقاً ومميزات خاصة، وإما أن يضع نظريات ومبادئ محلية لا تستطيع أن تروج وتزدهر في الشعوب الأخرى،ثم إنها لا تلبث أن تفقد قابليتها للعملوالتطبيق بمرور الأيام.
في حين أن النظام الذي جاء به القرآن يساوي بين الناس، ويعطي الجميع حقوقهم بدرجة متساوية؛ لذا فإن مبادئه عالمية الصبغة والأهداف والمثل، وتنطبق على جميع الظروف والمتغيرات.
وبعد هذا البيان والإيضاح، فهل يمكن لعاقل أن يدعي أن النظام المعروض في القرآن الكريم، نظام وقتي أو قومي لشعب من الشعوب؟ (18).

التكرار الظاهري في القرآن

يزخر القرآن الكريم بقصص الأنبياء والمرسلين، كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم عليهم الصلاة والسلام، وقد تكررت قصصهم مع قومهم في القرآن، وذلك لاحتوائها على العديد من العبر والمصاعب التي واجهوها، والعواقب التي لاقاها الجاحدون والمعادون لهم.
ولإبراز تلك العبر، فقد ذكرها القرآن على مراحل في تلك القصص.

(18) المبادئ الأساسية لفهم القرآن. صفحة 13 و31 ــ 33.

لذا يجد قـــارئ القرآن، أن أي مشهد في أي قصة مـــن تلك القصص، يختلف عمـــا سبقه في القصة نفسها، فهو إما أن يقدم مـعـــلـومـــة جـديدة، أو إيضاحاً، أو تفصيلاً لما جاء مجملاً، ولكن بأشكال وأساليب وصور بلاغية منوعـة، يتجلى فيهـا إعجاز القرآن اللغوي، وقصور الطاقة البشرية عن تقليده (19).

يعالج العلامة أبو الأعلى المودودي، موضوع التكرار الظاهري في القرآن الكريم من زاوية أشمل، كما يلي:

يلاحظ أن الســور والآيـــات القرآنية التي تخص مرحلة مـــن مراحل الدعوة، وتمس الحاجة إلى عرضها مرة بعد أخرى، تُصاغ في كل مرة في ألفاظ مبتكرة، وأسالـيب نضرة، ومحاســـن بيانية غضة طـــــرية، تشتهيها الأنفـس، وتتلقفها القلوب، بعيـــداً عن الرتابة أو الإعادة، لـــذا تجدها مؤثرة ومثيرة للإعجاب، وبذلك تصبح كـــل مرحلة من مراحل الدعوة، متينة القواعد محكمة الدعائم.

كما يلاحظ أن المبادئ العامة والقواعد التي تعتمد عليها الدعوة في كل حين من الأحيان، وفي كل وضع من الأوضاع، لا بد أن تلفت إليها الأنظار في جميع مراحل الدعوة مهما كان الحال، وهذا هو السر

---

(19) المعجزة الكبرى القرآن. صفحة 149. وقاموس القرآن الكريم، المدخل: إعداد نخبة من العلماء والباحثين. صفحة 123 ــ 124.

في شمول جميع سور القرآن عـــلى موضوعات ثابتة، ولكن في ألفاظ وصياغات وأساليب متجددة ومتنوعة.

فـفـيـمـــا يتعلق بعقيدة التوحيد وصفات الله والحـيـاة الآخـــرة، والمسؤوليةالشخصية للأفراد عن الأقوال والأعمال والمكافأة والعقاب، والتصديق بنبوة محـمـدﷺ، وبـالـقـرآن الكريم، وتقـوى الله، والصبر والثبات والجلد والاحتمال والإخلاص، والثقة بالله، وما إلى ذلك من حقائق أساسية، فإنك ترى القرآن يعيد ذكرها ويردد بيانها، في جميع سوره المكية والمدنية؛ لأن الدعوة لا تستطيع التساهل فيها في أي مرحلة من مراحلها، ولو وهنت هذه العقائد الأساسية في نفوس المسلمين، لما تقدمت الدعوة الإسلامية بروحها الصحيحة وطبيعتها الفذة (20).

(20) المبادئ الأساسية لفهم القرآن. صفحة 19 ــ 20.

كيف تفهم القرآن ؟

على من يريد فهم القرآن الكريم ــ من غير المسلمين ــ أن يتقبل ما يقــول القرآن عن نفسه من أنه وحـــي من الله ﷻ، ومــا قاله عنه الرسول محمد ﷺ، من أنه أوحي إليه من ربه [21].

وأن يقبل عليه بقلب مفتوح، وأن يخلي ذهنه تماماً من كل ما استقر فيه من تصورات وخزعبلات سابقة ــ إن وجدت ــ تعيق عقله وقلبه عن فتح كنوز معانيه وفهم مراميه [22].

فبواسطة هذا الكتاب ــ القرآن ــ وقف النبي محمد ﷺ، وحده في مواجهة كفار قريش وغيرهم، وجعله يقارع الباطل ويحارب أئمة الكفر وقادة الفسق ورواد الضلال.

وبهذا الكتاب تم انتزاع كل روح سعيدة، وكل نفس زكية من كل بيت في مكة والمدينة وبقية أنحاء شبه جزيرة العرب، وجعلها تستهين بالمال والحياة والأولاد، في سبيل الله، وجنة عــرضهــا السماوات والأرض، وجمعها تحت لـواء النبي محمد ﷺ، خلال ثلاث وعشرين سنة قمرية، وانتهت بإقامة الخلافة الراشدة في الأرض [23].

---

(21) المبادئ الأساسية لفهم القرآن. صفحة 7.

(22) المصدر السابق. صفحة 26 ــ 27.

(23) المصدر السابق. صفحة 29.

تحدي المشككين والمكذبين في مصدر القرآن

إلى أولئك الذين يشكون أو يشككون في مصدر القرآن الكريم، فقد تحدى الله ﷻ أبلغ البلغاء وأفصح الفصحاء، وهم العرب الذين كانوا أول المخاطبين بالقرآن أن يأتوا بمثله، ولم يكن قد تكشف لهم من إعجازاته اللامتناهية سوى الإعجاز البلاغي، قال الله تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لّا يُؤْمِنُونَ** ﴿٣٣﴾ **فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ** ﴿٣٤﴾﴾ (سورة الطور آية 33 – 34). علماً أنه لم يكن قد اكتمل نزول القرآن في تلك الأثناء. ولما لم يستطيعوا مجابهة ذلك التحدي، تحداهم الله أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات – حسب زعمهم – قال الله تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ (سورة هود آية 13). فلما عجزوا، تحداهم بأن يأتوا بسورة واحدة مثله، قال الله تعالى: ﴿**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ (سورة البقرة آية 23). وكرر الله تعالى ذلك التحدي فقال: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ (سورة يونس آية 38).

تحدي الإنس والجن (24)

ولما تكرر عجزهم عن قبول ذلك التحدي، وهم أمة الفصاحة والبلاغة، جاء التحدي النهائي لهم ولجميع البشر وللجن أيضاً، على مر العصور والأزمان وإلى يوم القيامة، في ثقة ويقين ولو تعاونوا وتعاضدوا كي يأتوا بمثل هذا القرآن، وأنهم لن يستطيعوا ذلك.

قال الله تعالى: ﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ (سورة الإسراء آية 88).

وهو تحدٍ غير عادي وغير مسبوق، وليس من طبائع البشر أيضاً، فلا يمكن تصور أن شخصاً مهما بلغ علمه وسعة تفكيره، أو

---

(24) **الجن**: كائنات خلقت من نار، قال الله تعالى ﴿**وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ**﴾ سورة الرحمن آية 15.

وقال تعالى: ﴿**وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ**﴾ سورة الحجر آية 27.

وقد خلق الجان قبل خلق الإنسان، ولا نستطيع أن نراهم، ولهم قدرة على التشكل في صور حسية، إلى جانب أنهم مكلفون كالإنسان بالأوامر والنواهي الإلهية، ومنهم المؤمنون ومنهم الكافرون. وتوجد سورة في القرآن الكريم باسم سورة الجن، يقول الله ﷻ لرسوله محمد ﷺ: ﴿**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا**﴾ سورة الجن آية 1 ــ 2.

عن قاموس القرآن الكريم، المدخل: صفحة 98. وقاموس القرآن الكريم، مضمون القرآن الكريم في قضايا النبوة والأخلاق والكون: الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة. صفحة 86.

حتى مجموعة من الأشخاص مهما بلغ عددهم وعلمهم وكفاءتهم، أن تجتمع وتؤلف كتاباً موسوعياً، ثم تتحدى القراء بأن يجدوا فيه خطأً واحداً، أو أن يقلدوا فقرةً أو فصلاً واحداً من فصوله، فما بالك أن يأتي شخص أمي لا يقرأ ولا يكتب كمحمد ﷺ، قبل أكثر من أربعة عشر قرناً ويتحدى المشككين والمكذبين بمثل هذا التحدي الملجم، إن هذا أمر فوق قدرة البشر وطاقتهم.

ولهذا تجد أنه لغاية اليوم، مع كثرة أعداء الإسلام من المشككين أو المستريبين أو المكذبين، والأموال الطائلة التي تحت تصرفهم، والمعاهد والأكاديميات والوسائل التقنية التي بحوزتهم، لم يجــرؤوا علــى مواجهة هذا التحدي الواضح والصريح لهم، وتجنبوه ولم يذكروه أبداً، وكأنه غير مذكور في القرآن الكريم، وأخذوا يعيدون ويرددون الشبهات التي قالها مشركو مكة قبل أكثر من أربعة عشر قرناً، ونقلها القرآن الكريم عنهم.

ترجمة معاني القرآن الكريم

القرآن الكريم هو كلام الله المعجز بنصه لفظاً ومعنى، ولذا فهو قرآن مادام بنصه الأصلي العربي الذي أوحي به، فإذا ما نُقل أو تُرجم إلى لغة أخرى، فإنه لا يعود قرآناً ولا كلام الله، إنما يصبح ترجمة لمعاني القرآن الكريم، حسبما فهمها المترجم، بناء على استيعابه للنص القرآني، وتمكنه من اللغة العربية، واللغة التي يترجم إليها، وذوقه في اختيار الكلمات والتعبيرات التي يراها مناسبة أكثر من غيرها. ومعنى هذا أن الترجمة ستتفاوت وتختلف ــ قليلاً أو كثيراً ــ من مترجم إلى آخر.

ثم إن النص القرآني يحمل في طياته أسراراً من الإعجاز البلاغي والبياني، مما لا طاقة لأحدٍ بمحاكاته في لغته العربية [25]. فما بالك بنقله أو ترجمته إلى لغة أخرى؛ إذ إن ذلك يدل في باب الاستحالة، فقد كان لب تحدي القرآن للعرب، أن يأتوا بمثله أو بسورة واحدة من مثله، مما يحويه من نظم بديع وبيان بليغ.

ومن ثم فإنه من المستحيل أن تقترب الترجمة ــ مهما كانت مخلصة ودقيقة ــ ولو من بعيد جداً، لأن تصبح قرآناً بدلالاته العلمية، وجمال ودقة وعمق وتسامي النص الأصلي العربي، وتأثيره في السامع أو القارئ.

(25) انظر الإعجاز البلاغي للقرآن: صفحة 69 وما بعدها.

هـــــذا بالإضافة إلى أن آيـات القرآن الكريم، تحتوي على إعجازات علمية كثيرة ومتشعبة، تشمل مختلف نواحي الحياة والكون، وهي مصوغة بأسلوب معجز، لا يتصادم مع معلومات الإنسان، بغض النظر عن مبلغ علمه ومستوى إدراكه العقلي، أو المستوى الحضاري الذي بلغته الإنسانية في عصره، وفي أي عصر ومصر، منذ أن نزل قبل أكثر من أربعة عشر قرناً وإلى يومنا هذا.

ولذلك فلا يمكن لآيات القرآن الكريم، أن تشي بأسرارها أو تبوح بمكنوناتها، وكشف ما تحتويه من إعجازات علمية، قبل أن يحين وقت كشفها، وهو تقدم الإنسان في مضمار العلم والحضارة، عندها فقط يكشف القرآن عن بعض مكنوناته، التي كانت مبهمة وعصية على الفهم الصحيح لمعانيها، بمقدار التقدم العلمي الذي وصل إليه الإنسان، وهكذا دواليك إلى ما لا نهاية[26].

فكيف يتأتى لمترجـم مـهـما كان مؤهلاً أن يتخطّى عصره، ويكشف الحجب عما تحتويه آيات القرآن الكريم من إعجازات؟ هذا من المستحيل؛ ولهذا السبب لا تجوز صلاة المسلم ــ مهما كانت لغته ــ إلا بتلاوة بعض سور وآيات القرآن الكريم، بنصه الأصلي باللغة العربية التي نزل بها.

(26) انظر إعجاز القرآن: صفحة 65 وما بعدها.

وتأكيداً على أن القرآن الكريم يظل قرآناً، مادام بنصه العربي الأصلي الذي أوحي به، انظر إلى الآيات القرآنية التالية:

1. ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ (سورة يوسف آية 2).
2. ﴿**وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا**﴾ (سورة الرعد آية 37).
3. ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ**﴾ (سورة النحل آية 103).
4. ﴿**وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**﴾ (سورة طه آية 113).
5. ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴿١٩٢﴾ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ** ﴿١٩٣﴾ **عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ** ﴿١٩٤﴾ **بِلِسَانٍ عَرَبِيّ مُّبِينٍ** ﴿١٩٥﴾﴾ (سورة الشعراء آية 192 – 195).
6. ﴿**قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾ (سورة الزمر آية 28).
7. ﴿**كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ (سورة فصلت آية 3).
8. ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ**﴾ (سورة فصلت آية 44).
9. ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**﴾ (سورة الشورى آية 7). المخاطب النبي محمد ﷺ.
10. ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ (سورة الزخرف آية 3).

11. ﴿**فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ**﴾ (سورة مريم آية 97). المخاطب النبي محمد ﷺ ولسانه عربي.

12. ﴿**فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾(سورة الدخان آية 58). المخاطب النبي محمد ﷺ، ولسانه عربي.

ومع ذلك تبقى ترجمة معاني القرآن الكريم – التي يقوم بها العلماء المسلمون المؤهلون – الوسيلة الوحيدة لتوصيل رسالة القرآن للناس الذين يفتقرون إلى معرفة اللغة العربية.

الملحق الأول

خوارق العادات أو المعجزات الحسية
التي أجراها الله ﷻ على يد رسوله محمد ﷺ

كانت المعجزة الكبرى الخالدة للنبي محمد ﷺ القرآن الكريم، إلا أن اللهﷻ قد أجرى على يديه خوارق عادات أو معجزات حسية كثيرة، منها ما وقع التحدي به مثل:

انشقاق القمر:

فقد تحداه مشركو مكة أن يريهم آية إن كان صادقاً، فشق له الله تعالى القمر إلى نصفين وقد كان بدراً.

الخوارق التي لم يقع بها التحدي:

ومن الخوارق ما لم يقع به التحدي، ولكنه يدل على صدق رسول الله ﷺ مثل:

1. الإسراء والمعراج.
2. **إعلان الدعوة ورد فعل أبي لهب:**

عندما جمع النبي محمد ﷺ، أهل مكة وأبلغهم أنه رسول الله، تصدى له عمه عبد العزى بن عبد المطلب، قائلاً: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت فيه وفي امرأته سورة المسد ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا**

ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾﴾ (سورة المسد) [1]، ومنذ ذلك اليوم لم يعرف عبد العزى بن عبد المطلب، إلا بلقبه أبي لهب[2].

وكانت زوجه أم جميل، تؤذي رسول الله ﷺ، وهي التي ذكرتها الآيات 4 ــ 5 من تلك السورة بأنها ﴿**حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾**﴾.

وحين سمعت أم جميل ما نـــزل فيها وفي زوجها من القرآن استشاطت غضباً، وأتت إلى حيث كان رسول الله ﷺ، جالساً عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق،وفي يدها فهر ــ حجر صلب بحجم قبضة اليد ــ فلما وقفت عليهما لـــم تر إلا أبا بكر الصديق، فسألته أين صاحبك؟ فقد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، ثم انصرفت، فقال أبو بكر الصديق: يارسول الله أما تراها رأتك؟ فقال عليه الصلاة والسلام: ما رأتني، لقد أخذ الله ببصرها عني [3].

---

(1) الرحيق المختوم: صفي الرحمن المباركفوري. صفحة 79.

(2) تحتوي سورة المسد على تنبؤ غيبي، انظر صفحة 113 ـــ 114 من الملحق الثاني.

(3) السيرة النبوية لابن هشام: القسم الأول، الجزء الأول والثاني، صفحة 355 ــ 356.

3. عداء أبي جهل للإسلام:

كان عمرو بن هشام، أحد سادات قريش، وكانت كنيته أبا الحكم، وكان من أشد المعادين للإسلام ولرسول الله ﷺ، لدرجة أنه طعن امرأة بالحربة في قُبُلِها لأنها مسلمة فقضى عليها. وقد كناه رسول ﷺ، بأبي جهل، فالتصقت به، ولا يزال معروفاً بهذه الكنية إلى اليوم.

وقد تعهد أبو جهل أمام أهل مكة بأنه سيتربص بمحمد، فإذا جاء غداً للصلاة وسجد، فسيفضخ رأسه بحجر ثقيل. فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً وجلس ينتظر، فجاء رسول الله ﷺ، إلى الكعبة وأخذ يصلي، وأهل مكة من قريش جالسون ينتظرون ما سيفعله أبو جهل. فلما سجد رسول الله ﷺ، حمل أبو جهل الحجر الثقيل وتوجه نحوه، حتى إذا دنا منه رجع منهزماً منتقعاً لونه مرعوباً، قد يبست يداه على الحجر، حتى قذفه من يده.

فقام إليه رجال قريش، وسألوه: ما لك يا أبا الحكم ؟ قال: قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة، فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل، لا والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل قَصْرَتِهِ ــ أصل عنقه ــ ولا أنيابه لفحل قط، فَهَمَّ بي أن يأكلني.

ولما سُئل رسول الله ﷺ قال: ذلك جبريل عليه السلام، لو دنا –أبو جهل– لأخذه [4].

4. محاولة قريش الاستهزاء برسول الله:

اشترى أبو جهل إبلاً من رجل غريب عن مكة، وماطله في سداد ثمنها، فاستنجد صاحب الإبل بجماعة من قريش كانوا جالسين في المسجد الحرام، وكان رسول الله ﷺ، جالساً في ناحية أخرى من المسجد. فقالوا له: أترى ذلك الرجل الجالس – يعنون رسول ﷺ – اذهب إليه فإنه يؤديك عليه، وكان قصدهم الاستهزاء برسول الله محمد ﷺ، لما يعلمون من عداوة أبي جهل له. فذهب الرجل الغريب إلى رسول الله ﷺ وهو لا يعرفه، وقال له: يا عبد الله، إن أبا الحكم بن هشام، قد غلبني على حق لي قِبَلِه، وأنا رجل غريب ابن سبيل، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يأخذ لي حقي منه، فأشاروا لي إليك، فخذ لي حقي منه يرحمك الله، قال: انطلق إليه، وقام معه رسول الله ﷺ، فلما رأى القرشيون أنه قام معه، قالوا لرجل منهم: اتبعه فانظر ماذا يصنع.

فلما وصل رسول الله ﷺ، إلى بيت أبي جهل، ضرب بابه، فقال أبو جهل: من هذا ؟ قال محمد، فاخرج إلي، فخرج إليه وما في

(4) السيرة النبوية لابن هشام: القسم الأول، الجزء الأول والثاني، صفحة 298 — 299.

وجهه قطرة دم من الخوف، فقال له: أعط هذا الرجل حقه، قال نعم،لا تبرح حتى أعطيه الذي له،فدخل إلى بيته وأحضر حقه فدفعه إليه. ثم انصرف رسول الله ﷺ، وقال للرجل: الحق بشأنك، فأقبل ذلك الرجل حتى وقف على ذلك المجلس فقال لهم: جزاه الله خيراً فقد والله أخذ لي حقي.

فلما جاء الرجل الذي بعثوه ــ ليستطلع لهم الخبر ــ قالوا له: ويحك! ماذا رأيت؟ قال: عجباً من العجب، والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه، فخرج إليه مرعوباً، فقال له: أعط هذا حقه، قال نعم، لا تبرح حتى أخرج إليه حقه، فدخل بيته ثم أتاه بحقه فأعطاه إياه. ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء، فقالوا له: ويلك! ما لك؟ والله ما رأينا مثل ما صنعت قط!

قال أبو جهل: ويحكم، والله ما هو إلا أن ضرب على بابي وسمعت صوته، فملئت رعباً ثم خرجت إليه، وإن فوق رأسه لفحلاً من الإبل، ما رأيت مثل هامته ولا قَصْرَتِهِ ــ أصل عنقه ــ ولا أنيابه لفحل قط، والله لو أبيت لأكلني [5].

(5) السيرة النبوية لابن هشام: القسم الأول، الجزء الأول والثاني، صفحة 389 ــ 390.

5. هجرة رسول الله إلى المدينة:

عندما هاجر النبي محمد ﷺ خفيةً من مكة إلى المدينة، وفي معيته أبو بكر الصديق، وعامر بن فهيرة – خادم أبي بكر – ودليلهما الخبير بالطرق، عبد الله بن أُريقط – الذي كان مشركاً –. وضعت قريش مكافأة كبيرة قدرها مائتا ناقة لمن يأتي بمحمد ﷺ، وصاحبه أبي بكر الصديق، أحياءً أو أمواتاً، ومن الأحداث التي جرت لهما في رحلتهما ما يلي:

أ. سراقة بن مالك:

وبينما كانوا يسيرون بمحاذاة ساحل البحر، مروا بحي بني مدلج فرآهم رجل من ذلك الحي، فأتى إلى مجلس قومه وأفاد بأنه رأى سواد أشخاص مروا بالساحل، وأنه يظنهم محمداً ﷺ وصاحبه، ففطن سراقة بن مالك، ورغب أن يفوز بالجائزة، فقال له: بل هم فلان وفلان قد خرجوا لحاجة لهم. ومكث سراقة قليلاً ثم انسل إلى بيته، وأمر خادمه بأخذ فرسه وانتظاره خلف الأكمة، ثم أخذ رمحه وخرج من خلف بيته إلى حيث فرسه فامتطاها، وتوجه بها إلى المكان الذي يتوقع وجودهم فيه. فلما دنا منهم عثرت به فرسه فسقط عنها! فقام فركبها فانطلقت به، فلما اقترب منهم

ساخت يدا فرسه في الأرض حتى بلغتا ركبتيها، فـــخـــر سراقة على الأرض، فقام وأنهض فرسه، ونادى عـــلى الرسول ﷺ، يطلب منه الأمـــان!! فوقفوا، فركب فرسه حتى جاءهم، فقال للرسول محمد ﷺ: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وعرض عليهم الزاد والمتاع فلم يقبلوا، وطلبوا منه أن يخفي خبرهم عن قريش، فطلب سراقة كتاب أمان من الرسول محمد ﷺ، فأمر عامر بن فهيرة فكتب له ما طلب، ثم مضى الركب في طريقه. ورجع سراقة وأخذ يرد الناس عنهم قائلاً: قد استبرأت لكم الخبر، وأنهم ليسوا هنا.

انظر لطف الله بهم، لقد كان سراقة أول النهار يجتهد في القبض عليهما، وفي آخره كان حارساً لهما (6).

ب. **أم معبد الخزاعية:**

مـــر الرسول محمد ﷺ، وصحبه عـــلى خيمة أم مـعـبـد الخزاعية، فسألوها طعاماً يشترونه منها، ولم يكن عندها شيء باستثناء شاة في طرف الخيمة، فسألها الرسول محمد ﷺ عنها، فقالت: إنها شاة خلفها

---

(6) فقه السيرة: الشيخ محمد الغزالي. صفحة 174 ــ 175 (لمزيد من التفاصيل، انظر صفحة 163 ــ 173). والرحيق المختوم: صفي الرحمن المباركفوري، صفحة 168 ــ 169 (لمزيد من التفاصيل، انظر صفحة 158 ــ 167). والسيرة النبوية لابن هشام: القسم الأول، الجزء الأول والثاني، صفحة 489 ــ 490.

الجهد عن الغنم، فاستأذنها بحلبها فأجابته: إن وَجَدْتَ بها حلباً فاحلبها، فمسح رسول الله ﷺ، بيده على ضرعها وسمى الله تعالى ودعا، فامتلأ ضرعها لبناً، فأخذ إناءً فحلب فيه حتى امتلأ، فسقا أم معبد حتى رويت، وسقى أصحابه حتى ارتووا، ثم شرب بعدهم، ثم حلب الشاة مرة ثانية حتى امتلأ الإناء، ثم غادر هو وصحبه.

خوارق عادات ومعجزات حسية متنوعة:

جرت على يد رسول الله ﷺ، خوارق عادات ومعجزات حسية متنوعة وكثيرة يصعب إحصاؤها، منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

1. حنين الجذع إليه حين ترك الاستناد إليه وأخذ يخطب على المنبر.
2. نبع الماء من بين أصابعه في أكثر من مناسبة، ومنها: وضع يده في إناء به ماء قليل، فأخذ الماء ينبع من بين أصابعه، حتى توضأ القوم، وكان عددهم ثلاثمائة رجل.
3. في غزوة تبوك اشتكى له المسلمون من عطشهم هم ودوابهم، فأدخل يده في إناء به ماء قليل، فأخذ الماء ينبع من بين أصابعه، فشرب الجيش وسقوا إبلهم ودوابهم وملئوا قربهم.
4. في غزوة تبوك أصاب الجيش مجاعة، فأمر بنطع وأن يضع الناس ما عندهم من طعام عليه، حتى تجمع على النطع شيء يسير من

الطعام، فدعا رسول الله ﷺ بالبركة، ثم قال: خذوا في أوعيتكم فأخذوا وملئوا جميع أوعيتهم، وأكلوا حتى شبعوا، وفضلت فضلة.

5. في أثناء حفر الخندق، لاحظ أحد الصحابة الجوع على رسول الله ﷺ، فذهب إلى زوجه وأبلغها الخبر، وطلب منها تحضير طعام لرسول الله ﷺ، فأخرجت صاعاً من شعير فطحنته، وذبحت بهيمة كانت عندهم وطبختها في برمة، وجاء الصحابي إلى رسول الله ﷺ، فأسر إليه يدعوه إلى الطعام مع نفر معه. فصاح الرسول الله ﷺ، في أهل الخندق يخبرهم أن جابراً صنع لهم طعاماً، وقال لجابر: لا تُنزِلَنَّ بُرْمَتَكُم، ولا يخبزن عجينكم حتى أجيئ، فلما جاء بصق في العجين وفي البرمة وبارك، وجاء القوم فأكلوا حتى شبعوا، وكان عددهم ألف شخص، ولم ينقص اللحم من البرمة ولا الخبز.

6. أطعم كل العاملين في حفر الخندق حول المدينة، من تمر قليل.

7. سماع النبي محمد ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم، تسبيح الحصا في كفه.

8. تسليم الحجر والشجر عليه، وشكوى البعير له من صاحبه الذي كان يرهقه بالعمل، ولا يعطيه علفاً يكفيه.

9. رد عين أحد الصحابة عندما وقعت على وجنته في معركة أحد، فأخذها رسول الله ﷺ بيده، وردها إلى موضعها، فكان يرى بها أحسن من الأخرى التي لم تُصَبْ.

10. في غزوة خيبر اشتكى علي بن أبي طالب ﷺ من رمد في عينيه، فبصق فيهما رسول الله ﷺ، فبرئتا من الرمد.

11. عندما كُسِرت رجل أحد أصحابه، مسح عليها فبرئت من فورها[7].

12. في المدينة المنورة حيث الأخطار تحيط بالرسول محمد ﷺ، في الداخل والخارج، فقد كان من الطبيعي أن يكون له حراس يحرسون بيته. فلما أنزل الله عز وجل ﴿**وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾ (سورة المائدة آية 67). أي: إن الله قد تكفل بحماية رسوله محمد ﷺ، ممن يريد به سوءاً، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن صرف الحراس [8].

13. عندما حصل قحط في المدنية، شكا أهلها لرسول الله ﷺ، فصعد المنبر فاستسقى، فما لبث أن نزل المطر، واستمر في الهطول حتى جاءه الناس يشكون الغرق، فقال رسول الله ﷺ: اللهم حوالينا ولا علينا، فانجاب السحاب عن المدينة، فصار حواليها كالإكليل[9].

---

(7) من عنوان: أم معبد الخزاعية صفحة 97، والبنود 1 ــ 11 تحت عنوان: خوارق عادات ومعجزات حسية متنوعة صفحة 98، منقوله بتصرف يسير، عن الموسوعة العربية: حرف الميم. صفحة 364، و452.

والأنوار المحمدية من المواهب اللدنية: القاضي الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني، صفحة 169 ــ 192.

(8) استقيت هذا التفسير بتصرف يسير من زبدة التفسير من فتح القدير: محمد سليمان الأشقر. وصفوة التفاسير: محمد الصابوني.

(9) السيرة النبوية لابن هشام: القسم الأول، الجزء الأول والثاني، صفحة 280 ــ 281.

الملحق الثاني

إعجازات القرآن الكريم

إعجازات القرآن الكريم كثيرة ومتعددة يصعب حصرها، فبالإضافة إلى الإعجاز اللغوي البياني – الذي سبق تفصيله–، فقد احتوى القرآن الكريم على إعجازات أخرى، منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

المجموعة الأولى: الأمور الغيبية المتعلقة بالإنسان

1. حالة الإنسان عند الاحتضار:

تكلم القرآن الكريم كلاماً لا نجد له نظيراً في كتب العهدين القديم والجديد ولا في غيرهما، عن حالة الإنسان عند الاحتضار، وكيف أن قدرة الله تعالى أقرب إليه من المحيطين به، ولكنهم لا يرون شيئاً. قال الله تعالى: ﴿**فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ**﴿٨٣﴾**وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ** ﴿٨٤﴾**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لّا تُبْصِرُونَ**﴿٨٥﴾﴾(سورة الواقعة آية 83 – 85).

أي إذا بلغت الروح الحلقوم، وشارفت الخروج من الجسد عند الموت، وأنتم ترون المحتضر تخرج روحه من جسده، وما يقاسيه من هول الفزع وسكرات الموت، ولكنكم لا تستطيعون رد روحه إليه أو عمل شيء يخفف عنه ما هو فيه، وملائكتنا أقرب إليه منكم ولكن

لا تشاهدونهم [1]. ﴿**كَلاَّ إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ** ﴿٢٦﴾ **وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ** ﴿٢٧﴾ **وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ** ﴿٢٨﴾ **وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ** ﴿٢٩﴾ **إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ** ﴿٣٠﴾﴾ (سورة القيامة آية 26 – 30).

إذا بلغت الروح التراقي، والترقوة عظم بين ثغرة النحر والعاتق، ويُكنى ببلوغ الروح التراقي، عن الإشفاء على الموت، حينها يجد الإنسان ما عمله من خير أو شر، أو تنكشف له حقيقة الأمر.

وقال من حضر حوله: هل من طبيب يرقيه ويشفيه وينجيه مما هو فيه؟ وأيقن المحتضر الذي بلغت روحه التراقي، أنها ساعة الفراق من الدنيا ومن الأهل والمال والولد. والتفت ساقه بساقه عند نزول الموت به، إلى خالقك تساق الأرواح بعد قبضها من الأجساد [2].

أما الإنسان المؤمن، فيجد البشارة عند موته ﴿**يَاأَيَّتُهَاالنَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ** ﴿٢٧﴾ **ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً** ﴿٢٨﴾ **فَادْخُلِي فِي عِبَادِي** ﴿٢٩﴾ **وَادْخُلِي جَنَّتِي** ﴿٣٠﴾﴾ (سورة الفجر آية 27 — 30).

---

(1) استقيت هذا التفسير بتصرف بسيط، من زبدة التفسير من فتح القدير: للشيخ محمد سليمان عبد الله الأشقر. وصفوة البيان لمعاني القرآن: للشيخ حسنين محمد مخلوف.

والموسوعة القرآنية الميسرة: الدكتور وهبة الزحيلي وآخرون. والمختصر في التفسير: مركز تفسير للدراسات القرآنية.

(2) اسقيت هذا التفسير بتصرف بسيط، من زبدة التفسير من فتح القدير.

وصفوة البيان لمعاني القرآن: للشيخ حسنين محمد مخلوف.

2. مصير الإنسان بعد الموت وحتمية قيام الساعة:

بين القرآن الكريم للإنسان بوضوح تـــام، أن الحياة في هـذه الدنيا ليست نهاية المطاف، وإنما هي دار اختبار، وأن الموت الـذي يرى آثاره في كل ما يحيط به على الأرض، ليس عدماً وفناءً كما يراه ويحسه، إنما الموت هو أولى الخطوات أو المراحل إلى الآخرة، وأكد القرآن الكريم بكل وضوح أن الناس سيبعثون من قبورهم يوم القيامة، وسيجازى كل واحد على إيمانه وعمله ﴿**فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ** ﴿٨٨﴾ **فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ** ﴿٨٩﴾ **وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ** ﴿٩٠﴾ **فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ** ﴿٩١﴾ **وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ** ﴿٩٢﴾ **فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ** ﴿٩٣﴾ **وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ** ﴿٩٤﴾ **إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ** ﴿٩٥﴾ **فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ** ﴿٩٦﴾﴾ (سورة الواقعة آية 88 – 96).

كما أكد القرآن الكريم أن الله ﷻ سوف يحيي الموتى، وأن يوم القيامة آت لا ريب فيه ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴿٦﴾ **وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ** ﴿٧﴾﴾ (سورة الحج آية 6 – 7).

3. **مشاهد من أهوال يوم القيامة:**

أبرز القرآن الكريم معالم نهاية هذا العالم في يوم القيامة، وما سيصاحب ذلك من ظواهر كونية مروّعة، وحالة الإنسان في ذلك اليوم الرهيب ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ** ﴿١﴾ **يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ** ﴿٢﴾﴾ (سورة الحج آية 1 – 2).

﴿**فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ** ﴿٣٣﴾ **يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ** ﴿٣٤﴾ **وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ** ﴿٣٥﴾ **وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ** ﴿٣٦﴾ **لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ** ﴿٣٧﴾﴾ (سورة عبس آية 33 – 37).

﴿**إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ** ﴿١﴾ **وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ** ﴿٢﴾ **وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ** ﴿٣﴾ **وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ** ﴿٤﴾ **وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ** ﴿٥﴾ **وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ** ﴿٦﴾﴾ (سورة التكوير آية 1 – 6).

﴿**إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ** ﴿١﴾ **وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ** ﴿٢﴾ **وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ** ﴿٣﴾ **وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ** ﴿٤﴾ **عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ** ﴿٥﴾﴾ (سورة الانفطار آية 1 – 5).

وتحدث القرآن الكريم عن رد فعل المؤمنين والكافرين عندما يعلم كل منهم مصيره المقبل إليه ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ** ﴿٣٨﴾ **ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ** ﴿٣٩﴾

وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ (سورة عبس آية 38 – 42).

وتكلم القرآن الكريم عن الكافر الذي يسأل عن يوم القيامة باستهزاء منكراً وقوعه، فيرد عليه القرآن بمشاهد كونية مروعة كأنه يراها رأي العين، ويورد القرآن أيضاً رد فعل الإنسان عند ذلك **﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلاَّ لا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾﴾** (سورة القيامة آية 6 – 15).

يقول الله تعالى عن يوم القيامة: **﴿الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾﴾** (سورة القارعة).

المجموعة الثانية: الإخبار عن غيب الأمم الغابرة

أولاً: تحدث القرآن الكريم عن أمور حدثت للأمم البائدة في الأزمان الغابرة، ومنها ما جاء في قصص الأنبياء والرسل عليهم السلام مع قومهم، انظر على سبيل المثال السور التالية: البقرة، آل عمران، يونس، هود، يوسف، إبراهيم.

ثانياً: كان عرب شبه الجزيرة العربية، يحكمون مصر في زمن نبي الله يوسف عليه السلام، وقد أطلق عليهم المؤرخون اليونانيون لقب الهكسوس، التي تعني ملوك الرعاة، أي: أنهم لم يكونوا من الفراعنة.

ولهذه الحقيقة التاريخية، تجد القرآن الكريم في سورة يوسف، يطلق على حاكم مصر لقب الملك، ولم يطلق عليه أبداً لقب فرعون، كما في الآيات التالية:

﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ**﴾ (سورة يوسف آية 43).

﴿ **وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ** ﴾ (سورة يوسف آية 50).

﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي**﴾ (سورة يوسف آية 54).

﴿**كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُف مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ**﴾ (سورة يوسف آية 76).

في حين أن العهد القديم ــ التوراة والأسفار الملحقة بها ــ يطلق على حاكم مصر أيام نبي الله يوسف، لقب فرعون[3] وهذا خطأ تاريخي.

أما في زمن نبي الله موسى عليه السلام ــ الذي جاء بعد نبي الله يوسف عليه السلام ــ فقد كان الفراعنة يحكمون مصر، بعد طرد الهكسوس ــ ملوك الرعاة ــ منها.

ولهذا تجد القرآن الكريم عندما يتحدث عن حاكم مصر في زمن نبي الله موسى عليه السلام، فإنه يطلق عليه لقب فرعون، وهذا يتماشى مع حقائق التاريخ، كما في الآيات التالية:

قال الله تعالى مخاطباً نبيه موسى: ﴿**اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ**﴾ (سورة طه آية 24).

وقال مخاطباً نبيه موسى وأخاه هارون: ﴿**اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ**﴾ (سورة طه آية 43).

﴿**ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ**﴾ (سورة يونس آية 75).

﴿**فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ**﴾ (سورة يونس آية 83).

---

(3) انظر على سبيل المثال: سفر التكوين، الإصحاحات 41 و45 و47 و50.

﴿**وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا**﴾ (سورة يونس آية 88).

ثالثاً: عندما شق الله ﷻ البحر لنبيه موسى، وعبر مع بني إسرائيل البحر إلى الشاطئ الآخر سالمين، لحقهم فرعون وجنوده، فأطبق عليهم البحر، ولما شارف فرعون على الغرق أخذ يستغيث بالله، فقال الله تعالى: ﴿**فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً**﴾ (سورة يونس آية 92).

والذي يفهم من هذه الآية، أن هذا الفرعون سيموت غرقاً، وأن البحر سيلفظ جيفته إلى الشاطئ، حيث سيأخذها أعوانه ويحنطونها كعادتهم مع فراعنتهم، وأن مومياءه ستُكتشف وسيراها الناس الذين سيأتون بعد ذلك. وهذا ما حصل بالضبط، إذ إن مومياء رمسيس الثاني – الذي يقال: إنه فرعون موسى – قد اكتشفت في العصر الحديث، وهي موجودة الآن في المتحف المصري بالقاهرة، كما ذكر القرآن منذ أكثر من 1400 عام.

المجموعة الثالثة: نبوءات عن المستقبل القريب

أخبر القرآن الكريم عن أحداث ستقع في المستقبل القريب، فحدثت كما أخبر القرآن عنها، كما في الأمثلة التالية:

1. التنبؤ بانتصار المسلمين على المشركين:

في الفترة المكية ــ قبل الهجرة ــ حيث كان المسلمون مستضعفين يعانون الأمرين من قهر مشركي مكة وبطشهم بهم. في تلك الظروف الحالكة، وقبل أن يُشَرَّعَ الجهاد، أنزل الله تعالى ﴿**سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ**﴾ (سورة القمر آية 45).

مما يفيد أن هناك معركة قادمة ستدور رحاها بين المسلمين وكفار مكة الذين أشارت إليهم الآية بالجمع، وأنه ستحل بهم هزيمة نكراء، وسيفرون مولين الأدبار.

وبسبب استحالة وقوع مثل ذلك الحدث، من منظور الوقائع التي كان يعيشها المسلمون في مكة آنذاك، فقد تساءل عمر بن الخطاب رضي الله عنه باستغراب، عندما سمع تلك الآية قائلاً: أي جمع يُهزَم؟ أي جمع يُغلب؟ وقد وقع ذلك النصر الباهر المؤزر للمسلمين على كفار مكة وزعمائها، في غزوة بدر الكبرى في السنة

الثانية من الهجرة، الموافق سنة 624 ميلادية [4].

2. **الإخبار بانهزام الروم، مصحوباً بثلاث نبوءات:**

عندما انتصر الفرس على الروم وكان ذلك قبل الهجرة، أنـزل الله تعالى ﴿**الم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ (سورة الروم آية 1 – 4).

يلاحظ أنه جاء في هذه الآيات ثلاث نبوءات كما يلي:

النبوءة الأولى: الإخبار بأن الروم سينتصرون بعد هزيمتهم.

النبوءة الثانية: تحديد زمـن وقـوع ذلـك النصر، بـأنه سيتم في بضع سنين أي: ما بين ثلاث إلى تسع سنوات.

النبوءةالثالثة:وهي الأهم بالنسبة للمسلمين﴿**وَيَوْمَئِذٍيَفْرَحُالْمُؤْمِنُونَ**﴾ (سورة الروم آية 4).

في هذه الآية إشارة ضمنية إلى أن انتصار الروم –على الفرس – سيقترن بنصر حاسم للمسلمين على كفار مكة.

والعجيب أن هذه الآية ﴿**وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ نـزلت في مكة – قبل الهجرة – والمسلمون مستضعفون، ولم يكن قـد شُـرّعَ الجهاد

---

(4) صفوة البيان لمعاني القرآن: الشيخ حسنين محمد مخلوف. وزبدة التفسير من فتح القدير: الشيخ محمد سليمان عبد الله الأشقر. وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير.

آنذاك ــ كما ذكرت آنفاً ــ لذا فقد كانت تلك النبوءة بالنصر أبعد حتى من أحلام المسلمين.

وقد وقعت كل تلك النبوءات الثلاث بالضبط، في أقل من تسع سنين كما أخبر عنها القرآن، وهذا من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ﷻ.

3. التنبؤ بعدم إسلام أبي لهب وزوجه:

على الرغم من أن الكثيرين من أهل قريش خاصة ــ وغيرهم من العرب ــ لم يقبلوا الإسلام في بداية الأمر، وحاربوه حرباً شعواء باللسان والسيف، فإن أكثرهم قد أسلم فيما بعد وحسن إسلامه، وأصبح من صحابة رسول الله ﷺ.

واستثناء من كل أولئك، أنزل الله ﷻ سورة في القرآن الكريم، تتنبأ أن عبد العزى بن عبد المطلب ــ عم رسول الله ﷺ ــ المعروف بكنيته (أبو لهب) التي أطلقها القرآن الكريم عليه، لن يسلم لا هو ولا امرأته أم جميل، وأنهما سيموتان كافرين ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾**﴾ (سورة المسد).

ومع أنه كان بإمكان أبي لهب وزوجه أن يسلما أو يسلم أحدهما، وقد كان الإسلام متاحاً لأي منهما في أي وقت ولو عناداً، بعد نزول تلك السورة، لكي يثبتا خطأ ما تنبأ به القرآن، فإنهما لم يفعلا وماتا على الكفر، بعد حوالي إحدى عشرة سنة قمرية من نزول تلك السورة، وهذا من إعجاز القرآن الغيبي (5).

(5) انظر ما جاء عنهما في صفحة 91 ــ 92 من الملحق الأول.

المجموعة الرابعة: التشريع

اشتمل القرآن الكريم على قوانين وشرائع وأحكام، تشمل جميع مجالات حياة الإنسان، فقد وضع أحكاماً وقواعد وتشريعات، تنظم حياة الفرد والأسرة والمجتمع، وبَيَّنَ حقوق وواجبات المواطنين من غير المسلمين، وأُسس بناء الدولة المسلمة، وعلاقتها بالدول الأخرى في حالتي السلم والحرب، مراعياً في كل ذلك احتياجات الناس الفطرية، واختلاف قدراتهم الذهنية والبدنية، وعدم تكليفهم فوق استطاعتهم أو طاقتهم، قال الله تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾(سورة البقرة آية 286).

وقد أثبتت الأيام صلاحية تلك القوانين والشرائع والأحكام لكل زمان ومكان.

هذا ويمكن تقسيم تلك القوانين والشرائع والأحكام التي جاء بها القرآن الكريم، إلى قسمين متمايزين كما يلي:

القسم الأول:

يعالج العناصر الثابتة في حياة الإنسان والمجتمع، التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان، مثل نشأة الإنسان منذ تكونه في رحم أمه حتى ولادته، وحاجته الماسة للرعاية والتربية، وتدرجه في مرحلتي الطفولة والشباب، وما يصاحب ذلك من الحاجة إلى الدواء والغذاء، وما يصلح له وما لا يصلح له أو يضره، وحاجته إلى التعليم النظري والعملي، وعلاقته بوالديه وأفراد أسرته وجيرانه، وغيرهم من أفراد المجتمع، وما ينشأ عن ذلك من علاقات اجتماعية من ود وبغض، واختلاف في الرأي، وكره وعداء، وتجارة وغيرها من المصالح.

كما عالج موضوعات الكذب والمكر والخداع والغش، والعدل والظلم وأكل أموال الناس بالباطل ...إلخ. وحاجة الإنسان للزواج وتكوين الأسرة، وما يواجهه الزوجان من مشاكل وكيفية حلها، وأباح الطلاق إذا استعصى الحل. فقرر لهذا القسم ذي العناصر الثابتة في حياة الإنسان، التي لا تتغير بتغير الزمان أو المكان، قوانين وأحكاماً وتشريعات ثابته، منها ما يلي:

1. حرم كل ما يضر بصحة الإنسان كشرب الخمور ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ**

آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ (سورة المائدة آية 90 ــ 91).

2. حرم أكل الميتة والدم ولحم الخنزير ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ**﴾ (سورة المائدة آية 3).

3. حرم الزنا ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا**﴾ (سورة الإسراء آية 32).

4. حرم كل ما يقرب إلى الزنا، فأمر بغض البصر ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ**﴾ (سورة النور آية 30).

5. حرم تبرج النساء ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ**﴾ (سورة الأحزاب آية 59).

6. أمر المؤمنات بغض أبصارهن وحفظ فروجهن، ووضع ضوابط لذلك ﴿**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ**﴾ (سورة النور آية 31).

7. وضع عقوبة للزناة ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (سورة النور آية 2).

8. شجع المسلمين على الزواج، وأباح زواج المسلم من الكتابيات – اليهوديات والنصرانيات – وحرم الزواج من المشركين (انظر سورة النور آية 221).

9. أباح الطلاق ووضع أحكاماً له (انظر سورة البقرة آية 226 – 232).

10. حرم الفواحش ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ (سورة الأعراف آية 33).

11. ذكر أن الحيض أذى، ووضع حكماً له ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾ (سورة البقرة آية 222).

12. تكلم القرآن الكريم عن الرضاعة ﴿**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**﴾ (سورة البقرة آية 233).

13. وضع القرآن تشريعاً لتوزيع الإرث (انظر سورة النساء آية 11 – 12).

14. أمر القرآن بالمحافظة على أموال اليتامى ﴿**وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا**

﴿تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (سورة النساء آية 2).

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(سورة الأنعام آية 152).وحذر وتوعد من يأكل أموال اليتامى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (سورة النساء آية 10).

15. أمر بأداء الأمانات لجميع الناس، مسلمين وغير مسلمين ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (سورة النساء آية 58). وأمر بإتمام الكيل وعدم الغش فيه، والإيفاء بالوزن ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (سورة الإسراء آية 35).

16. أحل البيع وحرم الربا لجميع الناس، مسلمين وغير مسلمين (انظر سورة البقرة آية 275 — 276).

17. حث على الإنفاق في السراء والضراء،وضبط النفس عند الغضب والعفو عن الناس ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(سورة آل عمران آية 134).

18. أباح الدين وشرع أحكاماً له (انظر سورة البقرة آية 282 – 283).

19. وضع الحد للسرقة ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ (سورة المائدة آية 38).

20. قنن العقوبات ﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ**﴾ (سورة النحل آية 126).

21. حرم القتل ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ**﴾ (سورة الإسراء آية 33).

22. قرر القصاص في حالة القتل العمد بقتل القاتل، لردع غيره عن اقتراف جريمة القتل ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ (سورة البقرة آية 179).

23. شرع حرية الاعتقاد في الدين ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾(سورة البقرة آية256).

24. قرر المسؤولية الشخصية عن الذنوب والمعاصي، فلا يحمل إنسان مسؤولية ذنوب أو عصيان غيره.

﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ**﴾ (سورة الزمر آية 7).

25. أمر بالعدل والإحسان ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ**

تَذَكَّرُونَ﴾ (سورة النحل آية 90).

وقوله تعالى: **﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾** (سورة الممتحنة آية 8).

القسم الثاني:

يعالج العناصر ذات الطبيعة المتغيرة في حياة الإنسان والمجتمع، التي تتغير بتغير الزمان والمكان، بحكم تطوره وتقدمه المستمر في المجالات الحضارية على جميع الأصعدة، كأمور السياسة وأنظمة الحكم، والشؤون الاقتصادية والتجارية، وبناء القوة...إلخ؛ لذا فقد خص القرآن الكريم هذه العناصر ــ المتغيرة ــ بما يناسبها من قواعد وتشريعات مرنة خالية من التفاصيل، لكي تتناسب مع احتياجات الإنسان وتطوره في كل زمان ومكان، كما في الأمثلة التالية:

1. الشؤون السياسية وأنظمة الحكم، وضع لها قاعدة الشورى **﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾** (سورة الشورى آية 38).

2. بناء القوات المسلحة، وضع قاعدة إعداد القوة **﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾** (سورة الأنفال آية 60).

3. شرع السلم بين المتحاربين **﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾** (سورة الأنفال آية 61).

المجموعة الخامسة: الإعجازات العلمية

يحتوي القرآن الكريم على إعجازات علمية كثيرة، تشمل مختلف نواحي الكون والحياة، التي كانت مجهولة تماماً وقت نزول القرآن، وقد اكتشفها العلماء على مراحل زمنية متفرقة، بعد نزول القرآن بمئات السنين، وهي مصوغة بأساليب بيانية عجيبة ومعجزة(6)، فهي لا تتصادم أو تتضارب مع معارف الإنسان ومعلوماته،بغض النظر عن مدى علمه أو مستوى إدراكه، أو المستوى العلمي والحضاري الذي بلغته الإنسانية في أي عصر ومصر، وفي الوقت نفسه تجدها تتماشى مع تقدم الإنسان وتطوره العلمي والحضاري.

فهي لا يمكن أن تشي بأسرارها أو أن تبوح بمكنوناتها، أو تسمح لأحد بسبر أغوارها، وكشف ما تحتويه من كنوز وإعجازات علمية، في شتى الموضوعات التي يزخر القرآن فيها، قبل أن يحين وقت كشفها،وهو تقدم الإنسان وتطوره في مضمار العلم والحضارة، عندها فقط يكشف القرآن الكريم عن بعض مكنوناته التي كانت مبهمة وعصية على الفهم الصحيح لمعانيها، وتنفتح مغاليقها جلية واضحة، وذلك بمقدار التقدم العلمي الذي وصل إليه الإنسان.

---

(6) سبق تفصيلها في صفحة 65 وما بعدها من المبحث الثالث.

وهكذا يرى أهل كل عصر في آيات وسور القرآن الكريم معاني متجددة، تناسب وتواكب آخر ما توصلوا إليه من علم في شتى المجالات،وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ (سورة فصلت آية 53).

ومن المدهش أنه على الرغم من ذلك الفيض الهائل من المعلومات التي يحتويها القرآن الكريم، فإن العلم الحديث لم يكتشف إلى يومنا هذا ما يخالف أو يتناقض مع أي منها، وذلك تصديقاً لقوله تعالى: ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا**﴾ (سورة النساء آية 82).

وفيما يـلـي بعض الآيات القرآنية التي تحتوي على الإعجاز العلمي، وكيف أنها مصوغة بأساليب بيانية عجيبة ومعجزة، لا تتصادم مع معارف الإنسان في أي عصر ومصر.

نشأة الكون:

اكتشف عـلـمـاء الـكـون حـديثاً، أن السمـاوات والأرض كانتا كتلة واحدة، وأن هذه الكتلة قد انفجرت انفجاراً هائلاً أطلقوا عليه اسم: الانفجار العظيم (BIG BANG) وأنــه نتيجة لهـذا الانـفـجـار تكونت السمـاوات والأرض. قـــال الله تـعـالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا**﴾ (سورة الأنبياء آية 30).

تمدد الكون:

اكتشف علماء الفلك أن الكون يتمدد ويتسع باستمرار، وقد يكون هذا تفسيراً لقول الله تعالى: ﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾ (سورة الذاريات آية 47) والله أعلم.

الإشارة إلى كروية الأرض، ودورانها حول محورها أمام الشمس:

انظر كيف يشير الــقرآن الكريم في الآيات التالية إلى كروية الأرض، ودورانها حول محورها أمام الشمس، بوجوه وأساليب متنوعة، لا تتصادم مع معارف الإنسان، بغض النظر عن مدى علمه أو مستوى إدراكه، في أي زمان ومكان، وفي الوقت نفسه جميلة وأخاذة ومبهرة.

1. قال الله تعالى: ﴿**يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ**﴾ (سورة الزمر آية 5).

كَوَّرَ الشيء: أداره، كما تلف العمامة على الرأس، وفيه إشارة ضمنية إلى كروية الأرض ودورانها حول محورها أمام الشمس، مما يعني أن الليل والنهار متواجدان معاً على سطح الأرض، في الوقت نفسه.

2. قال الله تعالى: ﴿**لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ (سورة يس آية 40). يفهم من هذه الآية أن الشمس لا يمكنها أن تدرك القمر، ولا الليل سابق النهار، ومعنى أن الليل لن يسبق النهار أنهما ــ الليل والنهار ــ موجودان معاً في الوقت نفسه، وهذا لن يتأتى إلا إذا كانت الأرض كروية، وأنها تدور حول محورها أمام الشمس، حيث يتواجد الليل والنهار عليها معاً في الوقت نفسه. وأن لكل من الشمس والقمر والأرض

فَلَكاً خاصاً يسبح به، والله أعلم.

3. قال الله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ**﴾ (سورة الحج آية 61).

يولج: أي يُدخل الله ﷻ الليل في النهار، ويُدخل النهار في الليل، مما يعني أن الليل والنهار موجودان معاً في الوقت نفسه على سطح الأرض، مما يشير ضمناً إلى أن الأرض كـروية، وأنها تدور حول محورها أمام الشمس، والله أعلم.

4. قال الله تعالى: ﴿**وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ**﴾ (سورة يس آية 37).

السلخ: الكشط والنزع، سلخ الذبيحة: انتزع جلدها عن جسمها.

سلخ النهار من الليل: خروج النهار حتى لا يبقى شيء من ضوئه فتحل ظلمة الليل. ويستتبع ذلك أن الليل والنهار موجودان معاً على سطح الأرض، مما يشير ضمناً إلى أن الأرض كروية، وأنها تدور حول محورها أمام الشمس، والله أعلم(7).

5. قال الله تعالى: ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ**﴾ (سورة المعارج آية 40).

---

(7) سلخ: انظر المعجم الوسيط، ولسان العرب المجلد الثالث. وزبدة التفسير من فتح القدير: الشيخ محمد سليمان عبد الله الأشقر. وصفوة البيان لمعاني القرآن: الشيخ حسنين محمد مخلوف.

بما أن الأرض كروية، وتدور حول محورها أمام الشمس، فيتبع هذا أنه يوجد شروق للشمس في كل لحظة في مكان ما على سطح الأرض، وفي الوقت نفسه يوجد غروب للشمس في كل لحظة، في الجهة المقابلة لها على سطح الأرض، أي أن هناك مشارق ومغارب للشمس كما أشارت الآية والله أعلم.

6. قال الله تعالى: ﴿**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**﴾ (سورة النمل آية 88).

كون الجبال تَمُرُّ مَرَّ السحاب، كما جاء في الآية، وبما أن الجبال جزء لا يتجزء من الأرض، فهذا يعني أن الأرض تَمُرُّ مَرَّ السحاب بطبيعة الحال، وفي هذا إشارة لطيفة إلى دوران الأرض حول محورها وحول الشمس، والله أعلم.

7. مع أن شكل الأرض كروي، فإنها تبدو للإنسان – في أي مكان كان على سطحها – أنها ممدودة أي: مسطحة، انظر كيف يشير القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة، كما يشير إلى وظيفة الجبال بأنها رواسي ﴿**وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ**﴾ (سورة الحجر آية 19).

وفسر القرآن عمل الرواسي، لكي لا تميد الأرض بكم، فلا تضطرب وتتمايل بكم ﴿**وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ**﴾ (سورة النحل آية 15).

8. ﴿**يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا**﴾ (سورة الأعراف آية 54).
يطلب الليل النهار طـــلباً حثيثاً أي سريعاً لا يفتر عن ذلك ليغطيه ويـــذهـــب بنوره، فكما يُغطى النهار بالليل، فكذلك يُغطى الليل بالنهار، وهو كناية عن أن كلاً من الليل والنهار يطلب الآخر طلباً حثيثاً أي سريعاً، وأن أحدهما يأتي عقب الآخر ويخلفه بلا فاصل بينهما (8).

ذكرت الآية السابقة أن الليل يطلب النهار طلباً حثيثاً أي سريعاً، لا يفتر ولا يتوانى في طلبه للنهار، وهذا يعني ضمناً، أن النهار أيضاً يطلب الليل طلباً حثيثاً ولا يتوانى في طلبه لليل.
مما يدل على دوران الأرض حول محورها أمام الشمس. فهل تعلم أن سرعة دوران الأرض حول محورها عند خط الاستواء 1600 كيلومتر في الساعة؟ وهل تعلم أن سرعة الصوت 1235 كيلو متراً في الساعة؟ أي أن سرعة دوران الأرض حول محورها عند خط الاستواء أسرع من سرعة الصوت، وهذا تفسير كلمة (حثيثاً) التي وردت في الآية، والله أعلم.

---

(8) استقيت هذا التفسير بتصرف بسيط، من زبدة التفسير من فتح القدير.
وصفوة البيان لمعاني القرآن.

القمر ليس به ضوء ولا حرارة:

1. الإشارة إلى أن القمر ليس به ضوء ولا حرارة مثل الشمس، إنما النور الذي نراه منبعثاً منه ليلاً،هو انعكاس ضوء الشمس على سطحه. قال الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا**﴾ (سورة يونس آية 5).

2. وصف القرآن الكريم الشمس بالسراج، والسراج كما هو معلوم به خاصيتا الإضاءة الذاتية والحرارة، أما القمر فقد وصفه القرآن بأنه منير أي غير متقد،فلا ضوء ولا حرارة فيه ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا**﴾ (سورة الفرقان آية 61).

تحديد الفرق بين طول السنة الشمسية والسنة القمرية:

الإشارة إلى أن السنة الشمسية أطول مـــن السنة القمرية، وأن كل ثلاثمائة سنة شمسية، تعادل ثلاثمائة وتسع سنين قمرية. قال الله تعالى عن أصحاب الكهف: ﴿**وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا**﴾ (سورة الكهف آية 25). أي: أنهم لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنة شمسية، بما يعادل ثلاثمائة وتسع سنين قمرية.

الماء أساس الحياة:

قال الله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾ (سورة الأنبياء آية 30). وقد اكتشف العلماء أن الماء هو أساس الحياة، ومن دونه لا يمكن أن توجد حياة.

وظيفة الرياح:

1. جاء في القرآن وصف لعمل الرياح، قال الله تعالى: ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ**﴾ (سورة الحجر آية 22) بما يفيد أن وظيفة الرياح هي تلقيح النباتات والسحب، مما يؤدي إلى نزول الأمطار، وهذه الحقائق لم تكن معروفة وقت نزول القرآن، وقد أماط العلم عنها اللثام حديثاً.

2. جاء في القرآن عن كيفية تجميع الرياح للسحاب، مما يؤدي إلى تكون المطر والبَرَد ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاء يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ**﴾ (سورة النور آية 43). وجاءت الاكتشافات العلمية الحديثة فأكدت دقة الوصف الذي جاء في القرآن.

النباتات تتكون من ذكر وأنثى:

1. الإشارة إلى أن النباتات تتكون من ذكر وأنثى، قال الله تعالى:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة يس آية 36).

2. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ (سورة الشعراء آية 7 – 8).

3. ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (سورة الحج آية 5).

كيفية تكون اللبن في ضرع الأنعام:

عن تكون اللبن في ضرع الأنعام، قال الله تعالى:﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ﴾ (سورة النحل آية 66).

وقد أثبت علم التشريح أن الطعام الذي تأكله الماشية يتحول في بطنها إلى فرث – الطعام المهضوم في الكرش والأمعاء – حيث يسير في الأمعاء الدقيقة للحيوان، فتمتص العروق الدموية المواد الغذائية في ذلك الفرث، فيسري الغذاء في الدم حتى يصل إلى الغدد اللبنية، وهناك تمتص الغدد اللبنية، المواد اللبنية التي سينتج منها اللبن، الذي أخرج من بين الفرث والدم، كما جاء في الآية القرآنية [9].

(9) قاموس القرآن الكريم، المدخل. صفحة 129.

أنثى النحل هي التي تصنع العسل:

قال الله تعالى: ﴿**وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾(سورة النحل آية 68 ــ 69).

تمعن في هاتين الآيتين، تجدهما تخاطبان أنثى النحل دون الذكر كما يلي: اتخذي، ثم كلي، فاسلكي، وقد أثبت العلم الحديث أن أنثى النحل هي التي تقوم بعملية صنع العسل، وأن فيه شفاء للناس.

انخفاض الضغط الجوي وغاز الأكسجين بالارتفاع:

الإخبار أن الضغط الجوي وغاز الأكسجين يقلان كلما صعد الإنسان إلى السماء قال الله تعالى:

﴿**فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ**﴾ (سورة الأنعام آية 125). وقد اكتشف العلم الحديث تلك الحقيقة، فإذا صعد الإنسان إلى السماء، ضاق صدره واضطرب تنفسه، تبعاً لقلة الضغط الجوي ونقص غاز الأكسجين.

الظلام الدامس في أعماق البحار:

الإشارة إلى الظلام الدامس في الأعماق السحيقة للبحار، وهذا ما اكتشفه العلماء حديثاً. قال الله تعالى: ﴿**أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا**﴾ (سورة النور آية 40).

عدم اختلاط مياه الأنهار بمياه البحار:

1. الإشارة إلى عدم اختلاط مياه الأنهار العذبة بمياه البحار المالحة عندما تصب فيها، إذ جعل الله ﷻ بينهما حاجزاً يفصل بينهما، ويمنعهما من الاختلاط مع بعضهما.

﴿**وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا**﴾ (سورة الفرقان آية 53).

2. ومع التقاء وتجاور مياه الأنهار العذبة مع المياه المالحة للبحار، فإنهما لا يختلطان ولا يمتزجان مع بعضهما، وذلك لوجود حاجز بينهما لا تراه العين. ﴿**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴿٢٠﴾**﴾ (سورة الرحمن آية 19 – 20).

الدواب والطيور أمم مثل البشر:

يخبرنا الله ﷻ، أن الدواب والطيور هي أمم مثلنا، وأنه ما فرط في الكتاب – القرآن – من شيء ﴿**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ**

يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (سورة الأنعام آية 38).

أطوار خلق الإنسان:

1. أطوار ومراحل خلق الإنسان **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلا﴾** (سورة الحج آية 5).

2. **﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿٤٠﴾﴾** (سورة القيامة آية 36 – 40).

3. **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَر فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾** (سورة المؤمنون آية 12 – 14). تشير الآيات إلى أن أصل الإنسان من الطين الذي خلق منه آدم أبو البشر. وأن الله جعل نسل الإنسان من طريق نطفة (مني) ملقاة في رحم المرأة لتستقر فيه، ثم خلق الله النطفة وصيرها علقة، أي: قطعة دم جامد،

ثم خلق العلقة مضغة، أي: قطعة لحم بقدر ما يمضغ غير مخلَّقة، ثم تكون مخلَّقة في طور لاحق، ثم صارت قطعة اللحم عظاماً، ثم كسا الله العظام لحماً، ثم أنشأ الله بعد صيرورته جنيناً متكامل الخلقة، خلقاً آخر بنفخ الروح فيه، بعد هذه الأطوار التي كان فيها جماداً، صار إنساناً ذا قوى وحواس وولادته حياً، فتعاظم وتقدس الله في قدرته وحكمته أحسن المقدرين الصانعين (10).

(10) استقيت هذا التفسير بتصرف بسيط، من زبدة التفسير من فتح القدير: محمد سليمان عبد الله الأشقر. وصفوة البيان لمعاني القرآن: الشيخ حسنين محمد مخلوف. والموسوعة القرآنية الميسرة: الدكتور وهبة الزحيلي وآخرون.

المصادر والمراجع
والفهرس

المصادر والمراجع

1. **صفوة البيان لمعاني القرآن.**

الشيخ حسنين محمد مخلوف. الطبعة الثالثة. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت. 1407هـ – 1987م.

2. **زبدة التفسير من فتح القدير.**

محمد سليمان عبد الله الأشقر. الطبعة الأولى. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت. 1406هـ – 1985م.

3. **الموسوعة القرآنية الميسرة.**

الدكتور وهبة الزحيلي وآخرون. الطبعة الثالثة. 1425هـ – 2004م. دار الفكر بدمشق.

4. **السيرة النبوية لابن هشام.**

القسمين الأول والثاني، دار المعرفة بيروت.

5. **فقه السيرة.**

الشيخ محمد الغزالي. 1407هـ – 1987م. دار الريان للتراث.

6. **الرحيق المختوم.**

صفي الرحمن المباركفوري. الجامعة السلفية بالهند.

7. **المعجزة الكبرى القرآن.**

الشيخ محمد أبو زهرة. 1390هـ – 1970م. دار الفكر العربي.

8. **مباحث في علوم القرآن.**

الدكتور صبحي الصالح. الطبعة السادسة. 1969م. دار العلم للملايين، بيروت.

9. **المبادئ الأساسية لفهم القرآن.**

أبو الأعلى المودودي. دار التراث العربي.

10. **نحو فهم الإسلام (Towards Understanding Islam)**

أبو الأعلى المودودي. طبع سنة 1992م. الكويت.

11. **قاموس القرآن الكريم، المدخل.**

إعداد نخبة من العلماء والباحثين. الطبعة الثانية.

1418هـ – 1997م. مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.

12. **قاموس القرآن الكريم، مضمون القرآن الكريم في قضايا النبوة والأخلاق والكون.**

الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة. الطبعة الثانية 1418هـ – 1997م. مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.

13. **دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين.**
الشيخ محمد الغزالي. 1996م. دار نهضة مصر.
14. **أضواء على المسيحية.**
الشيخ متولي يوسف شلبي. الطبعة الأولى. 1968م. الدار الكويتية.
15. **رد مفتريات المبشرين على الإسلام.**
الدكتور عبد الجليل شلبي. الطبعة الثانية. 1406هـ – 1985م. مكتبة المعارف بالرياض.
16. **الموسوعة العربية العالمية.**
الطبعة الثانية. 1419هـ – 1999م. مؤسسة أعمال الموسوعة بالرياض.
17. **الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية.**
القاضي الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني. الطبعة الرابعة. 2009م. دار الكتب العلمية بيروت.
18. **النبأ العظيم. نظرات جديدة في القرآن.**
الدكتور محمد عبد الله دراز. الطبعة الرابعة. 1397هـ، 1977م. دار القلم، الكويت.
19. **العهدان : القديم والجديد.**

الفهرس التفصيلي

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة:	1
المبحث الأول	
القرآن الكريم:	5
الأدلة من القرآن على أنه وحي من الله:	8
الأدلة من القرآن على أنه ليس من تأليف محمد ﷺ:	9
تميز القرآن على غيره من الكتب السماوية السابقة:	13
المبحث الثاني	
نزول القرآن منجماً:	23
تقسيم القرآن إلى مكي ومدني:	25
المرحلة المكية	26
مرحلة الدعوة السرية:	26
مرحلة الدعوة العلنية:	28
أهم موضوعات القرآن المكي وخصائصه:	33

المرحلة المدنية 38
أهم موضوعات القرآن المدني وخصائصه: 40
انتصار سلمي غَيَّرَ مجرى التاريخ: 41
العفو عند المقدرة: 41
تحقق إحدى نبوءات التوراة: 42
الأسئلة الموجهة للنبي محمد ﷺ: 44
أمثلة من أسئلة المسلمين والمشركين واليهود، للنبي محمد ﷺ،
ورد القرآن عليها: 44
أولاً ــ أسئلة المسلمين ورد القرآن عليها: 44
ثانياً ــ أسئلة مشركي مكة ورد القرآن عليها: 45
ثالثاً ــ أسئلة يهود المدينة ورد القرآن عليها: 47

المبحث الثالث

كيفية حفظ سور القرآن الكريم وترتيبها 51
ميزة ترتيب سور القرآن الكريم 53
موضوعات القرآن الكريم 54
حرية الاختيار والمسؤولية الشخصية 56
أسلوب القرآن في عرض موضوعاته 57

اللغة العربية الجميلة 59
المثنى: 60
جمع القلة وجمع الكثرة: 61
نون النسوة: 61
بلاغة العرب 63
إعجاز القرآن 65
مخاطبة العامة والخاصة: 67
الإعجاز البلاغي للقرآن ومناسبته للعرب 69
القرآن والعقل: 73
القرآن والعلم: 74
سبب نزول القرآن الكريم باللغة العربية 75
سبب مخاطبة القرآن للعرب في آياته وسوره الأولى 76
التكرار الظاهري في القرآن 77
كيف تفهم القرآن ؟ 80
تحدي المشككين والمكذبين في مصدر القرآن 81
تحدي الإنس والجن 82
ترجمة معاني القرآن الكريم 84

الملحق الأول

خوارق العادات أو المعجزات الحسية

التي أجراها الله ﷻ على يد رسوله محمد ﷺ 91

انشقاق القمر: 91

الخوارق التي لم يقع بها التحدي: 91

الإسراء والمعراج: 91

إعلان الدعوة ورد فعل أبي لهب: 91

عداء أبي جهل للإسلام: 93

محاولة قريش الاستهزاء برسول الله: 94

هجرة رسول الله إلى المدينة: 96

سراقة بن مالك: 96

أم معبد الخزاعية: 97

خوارق عادات ومعجزات حسية متنوعة: 98

الملحق الثاني

إعجازات القرآن الكريم 103

المجموعة الأولى: الأمور الغيبية المتعلقة بالإنسان 103

1. حالة الإنسان عند الاحتضار: 103

2. مصير الإنسان بعد الموت وحتمية قيام الساعة: 103
3. مشاهد من أهوال يوم القيامة: 106
المجوعة الثانية: الإخبار عن غيب الأمم الغابرة 108
المجموعة الثالثة: نبوءات عن المستقبل القريب 111
1. التنبؤ بانتصار المسلمين على المشركين: 111
2. الإخبار بانهزام الروم، مصحوباً بثلاث نبوءات: 112
3. التنبؤ بعدم إسلام أبي لهب وزوجه: 113
المجموعة الرابعة: التشريع 115
تقسيم القوانين والشرائع إلى قسمين متمايزين 116
القسم الأول: 116
القسم الثاني: 121
المجموعة الخامسة: الإعجازات العلمية 122
نشأة الكون: 124
تمدد الكون: 124
الإشارة إلى كروية الأرض، ودورانها حول محورها أمام الشمس: 125
القمر ليس به ضوء ولا حرارة: 129
تحديد الفرق بين طول السنة الشمسية والسنة القمرية: 129
الماء أساس الحياة: 130

وظيفة الرياح: 130
النباتات تتكون من ذكر وأنثى: 130
كيفية تكون اللبن في ضرع الأنعام: 131
أنثى النحل هي التي تصنع العسل: 132
انخفاض الضغط الجوي وغاز الأكسجين بالارتفاع: 132
الظلام الدامس في أعماق البحار: 133
عدم اختلاط مياه الأنهار بمياه البحار: 133
الدواب والطيور أمم مثل البشر: 133
أطوار خلق الإنسان: 134
المصادر والمراجع 137

تم الانتهاء من تأليف وإعداد هذا الكتاب

في يوم الثلاثاء 14 رجب سنة 1438 هجرية.

الموافق 11 أبريل 2017 ميلادية.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

تمت الطباعة
في يوم الأربعاء 21 شعبان 1438 هجرية
الموافق 17 مايو 2017 ميلادية

طبع في مطابع القبس التجارية